

الدكتور محمد شامة

# أثر البيئة في ظهور القاديانية

يطلب من : مكتبة وهبة

١٤ شارع الجمهورية - عابدين

تليفون ٩٣٧٤٧٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى  
تتبع ملتهم ، قل ان هدى الله هو الهدى  
ولئن اتبعت أهوائهم بعد الذى جاءك من  
العلم ما لك من الله من ولى ولا نصير »

صدق الله العظيم



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة :

● تموج المجتمعات البشرية بظواهر فكرية ، متعددة المناهج والأساليب ومختلفة المناحي والاتجاهات ، ومتنوعة الأهداف والاعراض ، ويجيء هذا التباين طبقا لاختلاف العوامل التي ساعدت على ظهور هذه التيارات الفكرية ، فان من المسلم به في قانون هذا الكون ان كل حدث - وجودا او عدما - لابد له من سبب ، سواء كان هذا الحدث ماديا حسيا ، او معنويا مجردا ، فكما ان نوع البذرة وعناصر عضوية التربية ، وطبيعة الطقس عوامل تؤثر في نوع النبات ، وتكوين براءمه ، وتحديد ثماره ، فان للظواهر الفكرية ايضا تربة ، ومناخا يؤثر فيها ، فتتشكل ، وتنتج طبقا للعوامل التي دفعت الى ظهورها وتكوينها .

● ولهذا كان من اهم نقاط منهج المشتغلين بدراسات التيارات الفكرية ، هو البحث عن منابعها ، والكشف عن المؤثرات التي توجهها ، كي يستطيعوا مواجهتها ان كانت - في نظرهم - ضارة بالمجتمع ، أو تدعيمها ان كان وجودها خيرا للفرد والأمة .

● ذلك هو اسلوب المصلحين ، والداعين الى سبيل الحق في مواجهة التيارات الفكرية ، ومنهج القائمين على الدراسات

الجامعية - اما السرد التاريخي ، الذى هو طابع كثير من الكتب المنشورة في المجتمعات الاسلامية ، واسلوب معظم المحاضرات في درجات جامعاتنا ، فلا يصلح الا لحو أمية الطلبة بالنسبة لأحداث الحركات الفكرية - لتخريج دعاة قادرين على المواجهة ، أكفاء في المحاورات والمساجلات الايديولوجية ، لان من لم يدرس التيارات الفكرية دراسة عميقة ، تحولت مواجهته لها الى مباحكات لفظية ، وشقشقات لغوية ، واسلوب يدور في فراغ فتكون النتيجة أن يتخذ عمله هذا سلاحا ضده ، وخنجرا يغمد في قلبه ، فيصبح عمله وسيلة ضده ، لا له ، فننتكس الدعوة الى الله ، ويكون سبب هذا الانتكاس هم الدعوة أنفسهم من حيث لا يدرون .

● ولهذا كان منهجى في هذا البحث محاولة الكشف عن العوامل التى كانت سببا في ظهور القاديانية ، لتكون مواجهة الدعوة لها قائمة على أساس علمى سليم .

والله أسأل أن يوفق الجميع الى ما فيه خير الاسلام  
والمسلمين .  
انه سميع مجيب .

القاهرة في ١١ من شعبان سنة ١٣٩٩ هـ

٦ من يوليو سنة ١٩٧٩ م

محمد عبد الغنى شامة



## الباب الأول

### طبيعة الدين الهندوسي

أطلق اليونانيون في القرن الرابع قبل الميلاد كلمة : « الهند » على النصف الشرقي من الكرة الأرضية ، وكانوا يقصدون بذلك على وجه التحديد : كل ما يقع على الجانب الشرقي لنهر السند (١) بما في ذلك الصين أيضا . ثم أطلقت فيما بعد ، وقصد بها : الجزء الأوسط من آسيا الواقع بين جبال الهملايا ، والمحيط الهندي . وهو يبدو على هيئة شبه جزيرة ، تشكل مثلثا ، قاعدته في الشمال ، حيث الصين وأفغانستان ، ورأسه في الجنوب حيث يفصل بينه وبين جزيرة سيلان مضيق « بولك » وخليج « منار » ويمتد ضلعه الشرقي على خليج البنغال ، والغربي على بحر العرب . وتضم هذه المنطقة المترامية الأطراف بيئات طبيعية مختلفة ، ففيها الجبال الشاهقة ، والوديان العميقة . والصحارى المقفرة ، والغابات الكثيفة والروج الخصبة . وترتّب على هذا اختلاف اجوائها اختلافا شديدا ، ففيها الحرارة الشديدة ، والبرودة القاسية ، والجفاف المميت ، والرطوبة الخائقة ، إذ تجتاحها في الشتاء رياح جافة من الشمال ، جافة حارة في الربيع ، ثم رياح شرقية غربية ممطرة مطرا مدمرا .

كذلك اختلفت شعوبها اختلافا لا مثيل له في أي منطقة من

---

(١) أطلق عليهن في السانسكريتية : «Sindhu»

ومنها اشتق اليونانيون كلمة « الهند » .



مناطق العالم وكثرت لغاتها ، وتباينت لهجاتها تباينا لا نظير له في أى دولة ، وبناء عليه ، فلا غرابة أن يكون الدين في الهند نموذجا مختلف الانواع والاشكال ، اذ هو يضم المبادئ السامية بجانب الافكار البدائية ، وكلاهما يسير جنبا الى جنب بصورة قل ان توجد في منطقة من مناطق العالم غير الهند . فالدين يضم الجليل والرديء البدائى وغير البدائى ، كل هذا بجوار بعضه بطريقة لا توجد في أى دين آخر ، ففي معبد فخم - أقيم في جنوب الهند على أحدث طراز - يقام للاله « شيفا » احتفال دينى رائع حيث تقام الطقوس الدينية ، التى تمجد هذا الاله ، فبينما ينتحى في هذا الاحتفال زاهد جانبا ، محركا حبات مسبحة باصبعه ، وهو يتمم بالصيغة المقدسة : «Shiva 'ham, Shiva 'ham»

ومعناها : « انا شيفا ، انا شيفا » ويؤكد بذلك ايمانه - أى ايمان الزاهد المردد لهذه الكلمات - بأنه - أى « شيفا - سيد العالم ، وأن الكهان يعظمونه ، وانه في الحقيقة اصل هذا الكون ، وان الكل سيعودون اليه . . بينما يفعل الزاهد هذا يوجد على مقربة منه معبد صغير ، يضم تمثالا مزركشا لالهة ، وامامه دمي لنساء يبدو على وجوههن الحزن والكآبة ، والبؤس والشقاء ، والجوع ، والحرمان ، يطلبن - متوسلات - ان ينجبن اطفالا .

وفي « بنارس » - تلك المدينة المقدسة ، التى تماثل العواصم الروحية للأديان الكبرى - حيث كتب «Shankara شانكارا» (١)

→ (١) «Shankara» شانكارا : برهمنى من جنوب الهند ( ٧٨٨ - ٨٢٨ م ) ، وفيلسوف متخصص في النظريات الفلسفية ، التى انبثقت من « الاوبانيشادات » مثل : الاعتقاد بأن أرواح البشر مصدرها (براهما) وأنها ستعود اليه اذا وصلت الى معرفة الله ، او بلغت محبتها لله درجة تمكنها من الانفصال عن عالم البشر ، والاتحاد مع عالم الالهية ، التى خرجت منه .

تفسيره لـ «Brahamasutren» (١) ، وحيث موئل العلماء والحكماء حتى اليوم - يرى الزائر صورة من المتناقضات الصارخة ، فبينما يلقى العلماء دروسا من « الاوبانيشادات » (٢) أو من « الجيتا » (٣) أو يقصون على المؤمنين أساطير « كرشنا » (٤) ،

(١) كلمة « سوتر » «Sutra» تعنى تعليم ، فالجزء الذى تطلق عليه هذه الكلمة من « الفيدا » يحتوى على كتب تعليمية فى محيط العلوم الستة الخاصة ، وهى : الصوتيات ، والنحو ، والصرف ، والبلاغة ، والعروض والفلك . ويتعلم الكهان هذه العلوم ، لتساعدهم على فهم نصوص « الفيدا » ولتتمكنهم من تأدية الطقوس ، التى يتحتم عليهم القيام بها فى تقديم القرابين المقدسة .

(٢) تحتوى « الاوبانيشادات » على الأفكار الفلسفية . والنظرية ، التى ابدعها الدين الهندوسى ، وهى مؤلفة على طريق السؤال والجواب بين تلميذ هو « شيلا » ، وأستاذ هو « جورو » ، وتدور تلك المحاورات حول موضوعات عامة مثل : الحقيقة الواقعية والمظاهر الخداعة ، التى لا تمثلها وصدور التعدد عن الواحد . الخ «Gitagovinda» جيتا جوفندا : من (٣)

اشهر القصائد الدينية فى الدين الهندوسى ويدور موضوعها حول حب « كريشنا » و « رادما » وقد نظمها الشاعر البنجالى « Jayadeva » جايا ديفا ، حوالى ١١٠٠ قبل

الميلاد ، و « جوفندا » اسم للاله « كريشنا » . (٤) « Krishna » كريشنا ، معناه فى اللغة

السفسكريتية : « المبهم » يقال انه امير هندى ، زعموا انه اكتسب الصفات الالهية تدريجيا ، وانه المتجسد للمرة الثامنة للاله الهندى « فيشنوا » ، وتحكى الاساطير انه تربى عند احد الرعاة ووقع فى حب فتاة من بناتهم ، كما تروى اعماله البطولية واقاصيص حبه .



أو « راما » (١) ، نجد بجانبهم صورة للسلوك التجارى المقوت ، حيث يتبارى الكهان ، والزهاد ، والتجار فى سلب اموال المتقين الذين جاءوا راغبين فى الزاد الروحي ، وعلى مقربة من هذا يوجد بئر حيث تقدم القرايين لأفعى مقدس ، أو تقام مراسيم التقديس والتعظيم لصورة « Ganesha جانيشيا » (٢) متدلية البطن ، ولها رأس فيل ، وفى Kalighat كالجات ، - بالقرب من « Kalkutta كلكتا » - تقدم الضحية

(١) « Rama راما » شخصية أسطورية مؤلفة فى الادب الرامى ، الذى ظهر فى عصور الهند القديمة ( من القرن الرابع قبل الميلاد وحتى القرن الثامن بعد الميلاد ) ، وهو - كما تروى الاساطير - ابن « Dasharatha داشاراتا » ، عاش فى المنفى الاختياري مع زوجته « Sita سيتا » ، بنت « Janaka جانكا » ، وقاتل هناك بشجاعة نادرة - الشيطان « Ravana رافانا » ، ثم رجع الى وطنه ويعتقد الهندوسيون أنه « Vishno فيشنو » تجسد فى صورة انسان ، وأن زوجته « سيتا » هي « Laksham لاكشامى » زوجة « فيشنو » ، ظهرت فى صورة بشرية .

(٢) « Ganesha جانيشيا » : من أشهر آلهة الدين الهندوسى فهو - حسب اعتقاد الهندوسيين - ابن « Shiva شيفا » ، وأمه الآلهة « Durga دورجا » - وقيل ان اسمها : « Shakti شاكتى » - وصفوه أولا بأنه اله الزراعة ، ثم أصبح حاميا للثقافة ، والذكاء . رسموا رمزه على هيئة رجل ذى اربع أيد وله رأس فيل ، ممتطيا فأرا برياً . وتتصدر هذه الصورة كثيرا من الكتب الهندية مزينة ببعض الابيات فى مدحه وتعظيمه .



- وهى عبارة عن ماعز ينهمر منها الدم ( تقطر دما ) -  
 ١- « Kali كالى » (١) وفى نفس الديانة ، وعلى مقربة  
 من هذا المكان ، يوجد معبد « Ramakrishna  
 راما كريشنا » (٢) وهو آخر القديسين الكبار ، توفى عام  
 ١٨٨٦ م .

ومما لا شك فيه ان كل فكر دينى يشتمل - فى جميع مراحل

---

(١) « Kali كالى » ( ومعناها فى اللغة  
 السنسكريتية : السوداء ) : احدى النساء المؤلهات فى الدين  
 الهندوسى ، وزوجته « Shiva شيفا » يتخيلها المؤمنون  
 بهذا الدين فى صورة امرأة شريرة ، زائغة البصر ، لها رأس سوداء ،  
 وعشرة أذرع ، تحمل فيها رموز الآلهة ، وقرايينها أضاح يصحب  
 تقديمها - فى الغالب - طقوس مفرطة فى اللهو .

(٢) « Rama Krishna راما كريشنا » ولد فى عام  
 ١٨٣٤م ، لآب برهمانى - أى رجل دين - قام بالطقوس الدينية فى  
 معبد « كالى » بالقرب من كلكتا وهو ابن سبعة عشر عاما ، ولما  
 لم يجد فى الصلاة والتأمل مبتغاه ، اتجه الى الفلسفة الدينية  
 الهندية ، ومارس اليوجا ، ثم درس الاديان الاخرى أيضا ولكنه  
 لم يعتنق أيا منها ، بل توصل من هذه الدراسة الى ان الحقيقة  
 الالهية واحدة غير انها ظهرت عند الناس بصور مختلفة - أى ان  
 الطرق مختلفة والهدف واحد وهو تعظيم الله ، وكان هذا الاتجاه  
 سببا فى اعتناق كثير من الاوربيين والامريكيين دعوته فتأسست  
 عام ١٨٩٧م - أى بعد موته بأحد عشر سنة « بعثة تبشيرية » فى  
 كندا تدعو لمبادئه .

التاريخية - على خليط من السلوك والافكار ، بعضها سام جليل ، والآخر بسيط تبدو عليه احيانا ملامح البدائية ، لان المؤمنين بالدين - اى دين ، بصرف النظر عن درجته بين الاديان مختلفون اختلافا كبيرا فى درجة الثقافة والوعى الفكرى ، ففهم الرجل العادى لقدرة الله ولواامره ، ونواحيه ، يختلف عن تصور رجل ، قطع شوطا كبيرا فى عالم الثقافة والمعرفة ، أو وصل الى درجة الخلق والابداع فى مجال الفلسفة مثل الغزالي ، وابن سينا . . . و . . الخ . ولهذا فتفاوت الافكار الدينية وتباين الصور للمعبود عند المؤمنين بدين واحد ضرورة اقتضاها اختلاف الطبقات الثقافية فى المجتمع ، وأملتها ظروف سياسية واجتماعية ومذهبية . غير أن طبيعة التعدد - الذى وصل الى حد التناقض - فى التصور العقدى وفى السلوك الدينى عند الهندوسيين ، تجاوز الحد المألوف فى المجتمعات الدينية الاخرى ويرجع ذلك الى اسباب منها :

١ - تفاوت السكان فى اللغة ، ودرجة الحضارة والثقافة تفاوتاً ، لا نظير له فى المجتمعات الدينية الاخرى .

٢ - أحدث هذا التفاوت أثره المساعد فى الهندوسية ، فهى لاتنسب لفرد معين ، اسسها ووضع قواعدها الاساسية ، ثم جاء خلفاؤه ، ففسروها واختلفوا فى تفسيرها . لو كان الامر كذلك ، لاقتصر الاختلاف على تباين وجهات النظر فى التفسير ، ولبقى فى الدائرة المعروفة للاديان ، حيث يجمع معتنقوها على الاصول ، ويختلفون فى الفروع . ولكن الاختلاف لدى الهندوسيين امتد الى الاصول أيضاً ، لانه لا يعرف لها مؤسس معين ، بل هى مبادئ ، تطورت عبر القرون ، جارية معها افكار وتصورات العصور المتعددة ، وممسكة بملامح كل بيئات الهند المختلفة ، فجمعت النظريات الفلسفية ، بجانب الاساطير



الشعبية ، بما فيها خرافات ، وتصورات بدائية ، واعمال يعجز العقل المتحضر عن فهمها ، فضلا عن الوصول الى سرها ، او الهدف من ممارستها .

٣ - ليس الدين الهندوسى كلمة تجمع حولها المؤمنين بها ، وليس فكرا لمؤسس واحد يكون قاعدة مشتركة لمن يشتغلون بتفسيره والدعوة له ، بل هو بمثابة خيط مستمر التطور ، يربط الماضي والحاضر فى تيار غير منقطع ، ويضم حوله صورا من الماضي السحيق ، بجانب تصورات دينية حديثة . ولذا لا نجد فيه عقيدة دينية محددة وثابتة ، كما فى الاديان الاخرى ، ولا يؤمن اتباعه بنظرية محددة عن خلق العالم ، او عن خلق القوى المادية وغير المادية ، ولا عن خلق الروح ، او علاقة الجسم بها ، كذلك لا تفسر الاوامر والنواهي الدينية تفسيرا محددا ، بحيث تكون ملزمة لكل على طريقة واحدة ، ولهذا يوجد هندوسيون يأكلون اللحم ، وآخرون يحرمونه على انفسهم ، ويعيشون نباتيين طول حياتهم ، كما يوجد منهم من يعزف الموسيقى ، ويستمتع بسماعها ، ومنهم من يعيش حياة قاسية حيث يحرم على نفسه كل انواع الطيبات ، التى يتمتع بها اخوه فى العقيدة ، وغير ذلك كثير ، ومختلف فيه اختلافا لا حد له .

٤ - يعتقد الهندوسيون ان دينهم هو الحقيقة ، التى يجب ان تبلغ للناس فى كل عصر بصورة مطابقة لمقتضيات ذلك العصر . وطبقا لهذا يعتقدون انه يظهر فى كل زمان حكماء ، واناس تحل فيهم الروح الالهية - روح براهما - ليجددوا الرسالة ، ويقوموا بنشرها ، مثل :



«Vyasa فياسا» (١) و «Manu مانو» (٢) و «Rama رام» و «Shankara شانكارا» و «Ramakrishna رام كريشنا» . ولم يأت هؤلاء - كما يقول الهندوسيون - بتعاليم جديدة ، بل كانت مهمتهم تجديد التعاليم الموجودة ، لتلائم العصر .

ومما لا شك فيه أن المعالم الفكرية للعصور المختلفة ، وجدت طريقها الى الدين الهندي عن طريق هؤلاء الحكماء ، فالفكر ابن عصره ، مهما بولغ في عزله عن المنابع الفكرية غير الدينية ، كما يتأثر - نسبيا - بتعاليم الأديان الأخرى ان سمحت الظروف بوصولها اليه ، سواء كان عن طريق الدراسة لاشباع رغبة عنده ، او المجادلة مع بنى وطنه .

وقد ظهر واضحا عند حكماء الهند ودعاة الإصلاح ، الذين ظهروا فيها بعد الفتح الاسلامي ، فتأثرهم بالاسلام بدا جليا في المبادئ التي اعتقنوها ودعوا اليها وفي المجالات الكلامية التي تناولت حقيقة

(١) «Vyasa فياسا» أحد الشخصيات المقدسة في الاساطير الهندية ، ويقال انه هو الذي رتب نصوص «الفيدا» .

(٢) «Manu مانو» ( ومعناه في اللغة السنسكريتية : انسان ) تقول الاساطير الهندية انه «أبو البشر» ويعتبرونه منبع الفضيلة والخير .

الذات الالهية ، فبينما يرى « Ramanuja رامانوجا » (١) - وهو من أتباع المذهب « الشيفي » - أن الأرواح والمادة جوهر الالوهية ، يخالفه « Madhva مادفا » (٢) فيذهب الى أن الأرواح والمادة جواهر متحدة ، وتختلف اختلافا كلياً عن الله ، غير انها خاضعة لسلطانه .

أثر الاسلام أيضاً في الحركات الإصلاحية - ذات الطابع الدينى - التى ظهرت فى الهند مثل :

١ - حركة « Brahma — Samag براهما - ساماج »

(١) « Ramanuja رامانوجا » : عاش فى القرن الثانى عشر الميلادى ويعتبر المرجع فى « الاوبانيشادات » والفلسفة الهندية بعد « شانكارا » ، غير انه خالف نظرية الوحدة التى كان يدعو اليها « شانكارا » فأصبح أكبر مدافع عن عبادة « فيشنو » فى جنوب الهند . ركز « رامانوجا » على العمل الصالح والتقوى كطريق الى الخير ، ودعا الى محبة الله ، وخاصة « راما » كـ « تجسيد » للاله « فيشنو » .

(٢) « Madhva مادفا » : أحد رجال الدين الهندوسى فى القرن الثالث عشر الميلادى ، وهو من « الفيشنوين » (نسبة الى فيشنو) . ذهب الى ثنائية الله والروح الفرد - مخالفاً بذلك الوحدة الفلسفية ، القائمة على مبادئ « الاوبانيشادات » - وأن محبة الله تستطيع قهر هذه الثنائية والوصول الى الخلاص . ويرى أتباع هذا الاتجاه - ويطلق عليهم « المادفيون » - أن العناصر الخالدة تكمن فى « فيشنو » وهى مختلفة عن جواهر الأرواح والأشياء المادية .



أى جماعة المؤمنين بالله أسسها « Ram Mohan Roy »  
 « رام موهان روى » (١) فى عام ١٨٢٩ م ومن مبادئها : تحريم  
 الصور والتمائيل فى المبادى ، ومحاربة تقديسها والدعوة الى  
 التوحيد . وقد لعبت هذه الحركة دورا كبيرا فى قرار الحكومة تحريم  
 حرق الزوجة التى مات عنها زوجها ، وبذلك أبطلت عادة من عادات  
 الدين الهندوسى .

٢ - « الربانيون فى الهند الحديثة » أسسها « Keshab Candra »  
 كيشاب كاندرا « فى اقليم البنغال فى عام ١٨٨١م وهم يمثلون  
 فرعا انفصل عن جماعة المؤمنين بالله ، واتجه الى محاولة جمع  
 الاديان كلها فى قالب واحد فهم - كما وصفهم « Nulle »  
 يعزفون « سيمفونية جميع الاديان » .

٣ - « جماعة الآريين (Aryasamaj) » أسسها « Dayanand »  
 داياناند « ( ١٨٢٤ - ١٨٨٣ م ) فى عام ١٨٧٥ م وهى طائفة

(١) « Ram Mohan Roy » رام موهان روى «  
 ( ١٧٧٢ - ١٨٣٣ م ) ساعدته دراسته فى العلوم المختلفة - تعلم  
 العربية ، والفارسية ، والتكريتية ، وقرأ القرآن ، واطلع على كثير  
 من الأفكار الحديثة - على ادراك أن الدين الهندوسى لا يمكنه  
 مقاومة التيارات الحديثة ، فحاول أن يدخل عليه بعض الاصلاحات ،  
 كى يتمكن من الصمود امام الغزو الفكرى ، ويرى بعض علماء  
 الاديان الأوروبيين أن التيار الفكرى الاوروبى ، كان السبب فى دفعه  
 الى تكوين جمعية « براهما ساماج » وهو رأى يحتاج الى دليل ،  
 اما الشئ الذى لا مراء فيه ، فهو ان معالم الاسلام بدت واضحة فى  
 مبادئ جمعيته .



تدعو الى التوحيد ، ونبذ الصور ، وتعد من الطوائف التي حاولت تطهير الدين الهندي ، ليلائم العصر الحديث ، غير انها ترى أن « الفيدا » هي منبع كل الحقائق ، ولذا ينبغي ألا تخرج الصور الجديدة للدين عن المبادئ الموجودة فيها . وهى تميل الى مزج الهندوسية مع المسيحية ، ولذا فهى تقف موقف المعارضة مع جمعية « براهما ساماج » .

انعكست هذه الظاهرة على الجانب الآخر ، فقد خرج من بين المسلمين أسماء في شهادة الميلاد - وفي الهند من نادى بدعوى تقوم مبادئها على مزج الاسلام بالهندوسية ، او ادخال عادات وتقاليد هندوسية في المجتمع الاسلامي ، ومن اشهرهم :

١ - « كبير » ( ١٤٤٠ - ١٥١٨ م ) : ولد لأبوين مسلمين واشتهر بقرض الشعر . اعتنق فكرة المزج بين الاسلام والهندوسية ، ودعا اليها ، فكان يرى ان كلا العقيدتين تعظم الها واحدا متعاليا ، والفرق بينهما ، هو في الصورة الظاهرية للعبادة فقط ، ولذا تساوت عنده الاماكن المقدسة في الدين الهندوسى بالمشاعر الحرام في مكة ، ولم يختلف القرآن - عنده - عن الكتب المقدسة الهندوسية .

أخذ عن الهندوسية :

عقيدة تناسخ الأرواح ، وقانون الجزاء الأخلاقي « Karma Gesetz » والايمان بأن محبة الله « Bhahti »  
هى الطريق الوحيد للخلاص .

وأخذ عن الاسلام :

تحريم عبادة الاصنام .

( ٢ - أثر البيئة )

٢ - « جورونافاك » Guru Nanak « (١) ( ١٤٦٩ - ١٥٣٨ م ) : أسس دين « السيك » (٢) في اقليم البنجاب بالهند في أوائل القرن السادس عشر الميلادى وكان هدفه جمع المسلمين والهندوسيين على اساس الاعتقاد بوحدانية الله ، والمساواة بين الناس . ويقال : أنه قرأ القرآن الكريم ، وحج بيت الله الحرام وسلك طريق الصوفية .

(١) « جورو » ( ومعناها في اللغة السنسكريتية : استاذ او معلم ، أو صاحب فضيلة أو صاحب غبطة ) : وهو لقب اطلق على أئمتهم ، ويقابله في الأديان الأخرى : بابا ، أو ملا ، أو امام ، ويلقب به خلفاء «ناناك» العشرة ، وكان آخرهم «Govind Singh» ( ١٦٧٥ - ١٧١٩ م ) الذى لم ينسم خليفة له ، بل دعاهم الى اتخاذ الكتاب المقدس «Adi Granth» اماما لهم .

(٢) تأسس دين « السيك » - أو السيخ ، ومعناها : المريدون - في القرن السادس عشر الميلادى ، وانتشر في البنجاب ، وتبوا أتباعه مكانا سياسيا هاما بسبب حريهم ضد المغول في عهد «Govind Singh» الذى اطلق على كل فرد منهم في تنظيمهم العسكرية كلمة «Singh» ( أى أسد ) وبعد موته فقدت الطائفة مركزها السياسى ، ولكن الجماعة ازدهرت في عهد الملك «Randschit Singh» من ١٧٨٠ - ١٨٢٩ م الذى وحدهم ، لكنهم هزموا بعد موته بفترة قصيرة أمام الغزو البريطانى ، وفي عام ١٩٤٧ رحلوا عن منطقة البنجاب الواقعة في باكستان . وهم يعيشون الآن في البنجاب الشرقية وفي المناطق الشمالية الأخرى في الهند ، متفرقين بين الهندوسيين .



و «السيك» قوم موحدون ، لكنهم يطلقون على الهم أحد  
أوصاف الاله « فشنو » ألا وهو «Hari» ، كما يعظمون  
أئمتهم ويعتبرونهم واسطة بينهم وبين الله ، كما اتخذوا  
«Adi Granth» (١) كتابا مقدسا لهم ، وفرض عليهم  
أنمتهم طقوسا مقتبسة من أديان مختلفة مثل : التعميد بماء السكر ،  
وارتداء زى خاص بهم ، واتباع نوع معين في حلقة الشعر ، وإطلاق  
الالحية ، كما حرموا عليهم الختان والحج .

٣ - جلال الدين أكبر : من أشهر ملوك الدولة المغولية ، تولى  
عرش هذه المملكة الإسلامية وهو شاب في مقتبل العمر في منتصف  
القرن السادس عشر الميلادي ( ١٥٥٦ م ) ، وظل حاكما قويا لها  
حتى عام ١٦٠٥م ، كان أميا لا يقرأ ولا يكتب ، ولكنه رزق عقلا  
كبيرا ، هداه الى البحث والدراسة عن طريق السماع ، فجمع حوله  
صفوة من رجال الأديان المختلفة الموجودة في مملكته ، ورتب لهم  
عقد جلسة للمناقشة والبحث في القضايا الدينية في يوم الثلاثاء من

---

(١) في اللغة السنسكريتية «Adi» أصل و «Granth»  
كتاب فمعنى الاسم إذن : الكتاب الأصلي ( أو أم الكتاب ) ،  
وموضوعه الرئيسي الآله الواحد ، أو الجوهر الأعلى ، ويتألف من  
٣٣٨٤ نشيدا ، تحتوي على ٥٥٧٥ بيتا شعريا .

كتب في البنجاب بلجة «ناناك» وجمع في عام ١٦٠٤ ،  
وأصوله التي يطلق عليها «Darber Sahib»  
محفوظة في المعبد الذمبي في «Amritser» ، أمر تسر ، ويجب على  
كل «سيكي» حفظ الجزء الأول منه ، وتلاوته كل صباح ومن لم  
يفعل ذلك فليس «سيكيا» .

كل اسبوع ، فكانت هذه الجلسات مسرحا لطرح عقائد متباينة ، وتصورات دينية مختلفة ، وآراء متنافرة ، وأفكار متضاربة في أسلوب جدلي عنيف ، سيطرت عليه رغبة كل فريق الانتصار لدينه ودحر الأديان الأخرى ، ضاربين الصفح عن جميع الاعتبارات الأخرى ، التي ينبغي الالتزام بها عند مناقشة أصحاب الأديان المخالفة ، وغافلين عن القواعد السليمة التي يجب الحرص عليها في مثل هذه الأحوال للوصول الى التعاليم الدينية التي لا تتناقض مع طبيعة الإنسان ، والتي تحقق للفرد الأمان والأطمئنان في الدنيا والسعادة في الآخرة .

غرست هذه المناقشات الشك في قلب جلال الدين أكبر ، فتزعزعت عقيدته واضطرب تفكيره ، فاستولت عليه الحيرة ، فسدت أمامه سبيل الوصول الى الحقيقة المطلقة ، لأن الحقائق الدينية اهتمزت أمامه من جراء هذه المساجلات بين صفوة رجال الأديان المختلفة ، فانتهز هذه الفرصة بعض رجال الدين المغامرين (١) فأوهموه أنه العبقرى الأوحى ودفعوه الى دعوى الاجتهاد

---

(١) وأقصد بهم أولئك الذين يسعون للتقرب من الحاكم ، لينالوا جاهاً أو مالاً أو كليهما ، وما أكثرهم في كل عصر ، ولم - ولن - يخل جيل من أمثال هؤلاء الذين يزينون للحاكم صواباً رايه ، بل يبحثون له عن سند لها من الدين ، وإن أولوا النصوص تأويلاً متعسفاً فيه ، وأحياناً يجهدون أنفسهم في البحث عن مبرر ديني - في رأيهم - لتعطيل حكم ابتغاء مرضاة الحاكم ، والا لحقتهم اللعنة فيطردون من مناصبهم ، ليحل محلهم من عنده استعداد أكبر لتحقيق هذه الغاية .



المطلق وزينوا له انه صاحب دورة دينية جديدة ، فادعى ان عصر نبوة محمد صلى الله عليه وسلم قد انتهى بنهاية الالف عام ، وبدأ عهد امامته ، امامة السلطان أكبر ، فهو الآن صاحب الكلمة في العقيدة الدينية ، ثم اعلن فكرة التقريب بين الاديان ليتفادى الخلاف الذي ظهر في جلسات الثلاثاء بين رجال الاديان ، وتجتمع الهند بأسرها تحت دين واحد ، فمزج بين مبادئ هندوسية ، واسلامية .. وزرادشتية في دين واحد أطلق عليه « دين الله » واعتقد انه ظل الله ، ونائب عنه في الارض .

اتبع في عبادته وعاداته خليطا من الاديان الثلاثة ، وعلى سبيل المثال : آمن بوحداية الله ، وعبدته على طريق براهما الهند ، وكان يولى وجهه شطر الشمس حين طلوعها متمتما لها بكلمات التقديس ، تعظيما لها ، كما حرم ذبح البقرة في انحاء الهند كلها ، واباح شرب الخمر ، واكل لحم الخنزير .

استمر في هذا الطريق - تلفيقا وجمعا ومزجا بين مبادئ الاديان المختلفة - حتى بعثت الشقة بينه وبين الدين الاسلامي ،

= وإذا أمن المرء النظر في وجوه الذين يتولون المناصب الدينية انكبرى في أى دولة ، فسوف يجد ان معظم الذين يتمتعون ببريقها مدة أطول مشايعون للحاكم أو مسالمون له أما أصحاب المبادئ الذين يسعون جاهدين لتطبيقها في مجال سلطتهم فلا يتولون من المناصب ما يساعدهم على تحقيق غايتهم ، وان لعبت الظروف دورا في توليتهم يوما ما ، فسرعان ما يقع الصدام بينهم وبين ذوى الاهواء والمطامع فيخرجون ، ويحاصرون ، حتى لا تنتقل عدواهم الى غيرهم ، فنتسع دائرة المخلصين لتحاصر شلل المنتفعين .

فنشأ عنده شعور بالعداء له - تحت تأثير من يكونون العداء للدين الاسلامي من رجال بلاطه فكان يسوءه ان يسمى احد في بلاطه ابنه محمدا . وبذلك اصبح الاسلام غريبا في تلك البلاد ، التي استمر فيها الحكم الاسلامي زهاء خمسة قرون وكاد يقضى عليه لولا هلاك جلال الدين أكبر ، وجهود كثير من العلماء المخلصين من أمثال الشيخ أحمد بن عبد الأحد السهرندي (١) .

كان لهذه الظاهرة الهندية - ظاهرة التلقيق والمزج بين الاديان المختلفة ، لنسج دين ، أو مذهب جديد - أثر كبير على ميرزا غلام احمد ، فنادى بدعوة - هي القاديانية - مزج فيها بين مبادئ مسيحية ، واخرى اسلامية ، على النحو الذي سنبينه فيما بعد .

---

(١) هو أحمد بن عبد الاحد بن زين العابدين الفاروقى السهرندى ( ٩٧١ هـ / ١٠٣٤ م - ١٥٦٣ / ١٦٢٥ م ) من علماء الهند ، الداعين الى نبذ البدع . ويلقب بمجدد الالف الثانى . نسبة الى « سهرند » ومعناها : « غابة الاسد » بين دهلى ولاهور ، ومولده ووفاته بها . تفقه وحج ، واشتغل بالتدريس ، وحبسه السلطان « جهانكير » ، قيل : لامتناعه عن السجود تعظيما له . وأطلق سراحه بعد ثلاث سنوات ، فعاد الى « سهرند » . من مؤلفاته : رسائل فى « المبدأ والمعاد » . و « اثبات النبوة » و « المعارف اللدنية » و « رد الشيعة » .

( أنظر : أبجد العلوم ٨٩٨ ، وهداية العارفين : ١ : ١٥٦ - عن الاعلام للزركلى ) .



## الباب الثانى

### الصراع الدينى

يواكب الصراع بين الاديان والمذاهب مسيرة التاريخ ، فمنذ وجد الانسان على سطح الأرض لم يخل عصر من مساجلات ومصادمات - تصل في معظم الأحيان الى الصدام المسلح - بين أتباع الاديان والمذاهب المختلفة ولن يشهد الانسان حقبة تختفى فيها المنازعات اختفاء مطلقا . . . قد تهدأ فيتوارى الصراع المسلح عن الساحة ، حيث تغمد السيوف - وما في حكمها - في أجربتها . بينما تستمر المساجلات الكلامية بشكل أو بآخر . وقد تختتم ظروف العصر الامتناع - أو التخفيف من لهجة تحليل ونقد العقيدة المخالفة - عن مباشرة هذا النوع من الدفاع عن العقيدة ، ذلك الدفاع ، الذى يستلزم - بجانب بيان صحتها - الكشف عن ضعف ووهن العقائد المخالفة لها ، ولكن من المستحيل ان تتجاوز المصالحة هذا الحد ، الا في حالة ضعف العقيدة عند احد الفريقين . ويكون هذا مقدمة لذوبانها في عقيدة الطرف الآخر مثلما حدث للعقائد ، التى اختفت من المجتمعات الشرقية القديمة ، لتحل مكانها عقائد اخرى كالمسيحية والاسلام (١) .

---

(١) قد يمتزج القديم بالحديث ، عندما يضعف عن المقاومة ، ومثال ذلك ما حدث للدين « الفيدى » فقد امتزج بدين الآريين ، الذين غزوا الهند فيما قبل التاريخ ، ونتج عنهما ما يعرف بـ « الهندوسية » أو « البرهمانية » .

فاذا تصفحنا التاريخ فسنجد سطره مليئة بالدماء ، التي سالت أنهارا في حلبة الصراع بين قوم يتمسكون بما وجدوا عليه آباءهم من عقائد وعادات - رغم ما تخللها من تحريف وانحراف ، وما خالطها من أهواء وشهوات الانسان - ورسل أتوا لتصحيح مسار الدين - دين الله الواحد ، الذي انزله على جميع الرسل - في المجتمعات البشرية ، وسوف نجد أيضا أن أعنفها وأطولها عرو صراع الشرق الاسلامي مع أوروبا المسيحية ، فقد اتخذ صوراشتي ، واساليب متعددة ، طبقا للظروف والملابسات ، التي تناسب العصر ، وتتفق مع الزمن . والسبب في عنف هذا الصراع ، وامتداده على طول اربعة عشر قرنا ، يرجع الى :

### أولا - أصالة الدين الاسلامي في النفوس :

● بما يدعو اليه من سماحة وأخوة ، ومساواة بين المؤمنين جميعا لا فرق بين غنى وفقير ، ولا بين حاكم ومحكوم .

● وبما يغرسه في عقول المؤمنين من مبادئ تتفق مع واقع الوجود الانساني ، فلا رهبانية ، تصيب الغرائز الانسانية بدءا الشلل ، فيمنعها عن ممارسة ما خلقت له ، ولا انغماس في المادية الى حد تدمير الفرد والمجتمع .

فتعاليم الاسلام مطابقة للطبيعة البشرية ، تصفى الروح من الشوائب المميقة ، وتحث على العمل لبناء الحضارة المادية ، كما تحذر من التفریط أو الإفراط كي لا يختل التوازن ، لانه اذا افراط المجتمع في المادية ، وفراط في النواحي الروحية ، سادت الانانية ، وحب الدنيا ، واستولى الطمع والجشع على النفوس ، فهان كل شيء - حتى العقيدة - في سبيل الوصول الى ارضاء النفس



الشهوانية ، واشباع الرغبات الجسمانية ، فتضيع الدولة أمام عجمات الاعداء ، كما حدث للمسلمين في الاندلس ، عندما شاعت الانانية وحب الذات بين القادة والامراء وحرصوا على الدنيا ، فقتلوا وصلبوا كثيرا من اخوانهم المسلمين ارضاء للنفس الأمارة بالسوء ، واشباعا لشهوة الحكم فضعفوا وصاروا لقمة سائغة للهجمات النصرانية ، التي لم تهدأ حتى قضت على الاسلام نهائيا في الاندلس .

واذا فرط في الأخذ بأسباب القوى المادية ، خيم الجمود على الدولة فأورثها الوهن والضعف ، فيتصدع بنيانها ، وتتفكك اوصالها ، وهو ما حدث للشرق الاسلامي في القرون الوسطى ، فقد عاش منطويا على نفسه حقبة اضعفته وأنهكتة ، فسقط أمام الزحف الغربى سياسيا وعسكريا ، لانه فقد التفوق الحضارى الذى كان يتمتع به أيام الحروب الصليبية ، سقط لان المعركة كانت بين طرفين غير متكافئين ماديا ، فتقدم البلاد الغربية في النواحي التكنولوجية ، منحها تفوقا لم يستطع العالم الاسلامى الصمود امامه ، فتهاوت أقطاره - الواحد تلو الآخر - أمام جنود الاستعمار الأوروبى ، ولم يأت منتصف القرن التاسع عشر الا والعالم الاسلامى كله خاضع - بشكل أو بآخر - لسيطرة القوى الاستعمارية الأوروبية .

كانت البرتغال هى الدولة الأوروبية الأولى ، التى عادت طريق الاستعمار الغربى المسيحى فى وسط آسيا وشرقها ، فى الهند وفى اندونيسيا فى سنة ١٥١١ م مستخدمة فى ذلك اسطولها البحرى ، الذى كان يضرب به المثل ، حتى أن ملكها حصل من «البابا اسكندر» على صك رسمى « بأن البرتغال » سيدة بحار العرب والعجم والهند

والحبشة ، لكن البرتغال فقدت استقلالها ، باعلان ملك اسبانيا ضمها الى بلاده في عام ١٥٨٠ م ، الا ان القوى الاستعمارية الاخرى - الانجليزية ، والفرنسية ، والهولندية ، والالمانية ، والروسية - سارت على الدرب ، فكونت الشركات ، التي مهدت الطريق للغزو العسكرى والفكرى ، بعد السيطرة على الموارد الاقتصادية . بدأ النشاط المحموم لهذه الشركات في القرن السابع عشر (١) ولم يمض قرنين ونصف حتى تمكن الغرب المسيحى من السيطرة التامة على المسلمين في وسط آسيا وشرقها ، واقام له محاور رئيسية في افريقيا كما تمكن من بسط نفوذه في قلب العالم الاسلامى ومركزه الرسمى وهو منطقة الشرق الاوسط ، وبذلك طرقت العالم الاسلامى من الشرق والغرب وسلط الاعيه ودساتيه على بقية المجتمعات الاسلامية بين هذين الطرفين حتى وصل نفوذه الى بلاط الباب العالى في تركيا ، وبلاط الدولة الصفوية في ايران . فوهنت التجمعات الاسلامية ، وانحل عقدها فسقط بعضها اثر بعض تحت نفوذ المستعمر الغربى المسيحى ، ولم تنته الحرب العالمية الاولى الا والعالم الاسلامى كله تحت نفوذ هذا المستعمر .

❏

ادرك الخلفاء في تركيا خطر التفوق الحضارى الغربى على الخلافة العثمانية فحاولوا الدفاع عنها بالدعوة الى حركة اصلاحية ، تهيئ الشعب لمقاومة هذا الغزو الثقافى والفكرى ، وتعدده اعدادا حديثا للكفاح المسلح ضد الهجوم الغربى لكنهم وقعوا في اخطاء عجلت بالقضاء على سلطانهم ، وضياع احدى الدول الاسلامية

---

(١) احتلت هولندا جزر الهند الشرقية ( اندونيسيا ) في بداية القرن السابع عشر الميلادى عن طريق شركة الهند الهولندية التي تأسست عام ١٦٠٢ م .



الكبرى (١) فقد استعان الخلفاء بخبراء غربيين لكي يقيموا لأنفسهم  
« حصونا » تحميهم من النفوذ ، فانطبق عليهم قول الشاعر :  
والمستجير بعمره عند كربته كالمستجير من الرمضاء بالنار

وفي الوقت نفسه حاول الخلفاء كسب صداقة كل القوى  
المتصارعة على بسط نفوذها في أنحاء الدولة ، فمنحوا كل الامتيازات  
الممكنة للدول الاجنبية ومن بينها - على سبيل المثال - السماح  
لكل المذاهب بحرية ممارسة طقوسها وعبادتها ، كما أعطوا لكل  
طائفة الحق في انشاء مدارس خاصة بها فانهارت بذلك الجسور  
الاخيرة التي حمت المملكة العثمانية من الطوفان الثقافي ، الذي  
نبت في الغرب .

وتحت ضغط القوى الغربية اندفع تأثير الغرب الى أبعد من  
هذا، اذ حصل لبنان على نظام ادارى جديد ، منح المسيحيين امتيازات  
جعلت كفتهم راجحة على كفة غيرهم ، كذلك منحت المناطق الواقعة  
تحت النفوذ الفرنسى حكما ذاتيا ، وتبع ذلك قيام هيئة مالية من  
الفرنسيين والانجليز بتأسيس « بنك الامبراطورية العثمانية »  
... الخ

وهكذا تسلل النفوذ الغربى في جميع اجهزة الدولة ، واقطارها  
المختلفة حتى تم له السيطرة عليها كلها في النصف الثانى من القرن  
التاسع عشر (٢) .

---

(١) وجدت آنذاك دولتان أخريتان هما : الدولة الصفوية  
في ايران والدولة التيمورية في الهند .  
(٢) راجع كتاب : « الاسلام قوة الغد العالمية » لـ « باول  
شمتز » ترجمة : الدكتور محمد شامة

واتخذ النفوذ الغربي في إيران خطا مشابها لمخططة الذي نفذه في تركيا ، فقد تعرضت الدولة الاسلامية هناك لضغط روسي من الشمال ، وقابله ضغط انجليزي من الجنوب ، فبدأ الخطر واضحا من الناحيتين مما جعل المشاء ناصر الدين يحاول وضع خطة اصلاح تمكنه من التصدي لهذا الخطر المائل أمام عينيه كالشبح المرعب ، ففتح بذلك طريقا للعقل الأوروبي كما كان الحال في تركيا ، ولم يستطع التخلص منه بعد ذلك ، ثم سارت الامور على النحو الذي سارت عليه في تركيا ، فواجه الشعب القوى الغربية والانتاج الغربي ، واستمرت المواجهة زمنا طويلا حتى خضعت هذه الدولة الاسلامية للنفوذ الانجليزي والروسي ، اذ اذيع في طهران في ٣١ اغسطس ١٩٠٧ نصوص المعاهدة التي عقدت بين روسيا وانجلترا ، وكان من بين بنودها :

- تقسيم ايران الى منطقة نفوذ روسية ، وأخرى انجليزية .
- وبذلك سقطت تلك المملكة الاسلامية بين براثن الاستعمار .

أما في الهند ، فقد بدأ العد التنازلي لقوة الدولة الاسلامية بعد موت الامبراطور « اورنجزيب » الذي أخضع الهند كلها للحكم الاسلامي ، اذ جاء بعده خلفاء ضعاف ، لم يكن لهم من الحزم والقوة ما يمكنهم من ضبط الأمور في هذه المملكة المترامية الأطراف ، فأخذت الدولة تتهاوى ، وتفتقت شيئا فشيئا ، واستغل الامراء هذه الفرصة ، فعملوا على استقلال اماراتهم عن السلطة المركزية .

ولم تقتصر هذه الظاهرة على الامراء المسلمين فقط ، بل هيئت انظروف لبعض الامراء الهندوس والسيخ ليجمعوا الجيوش ، ويشنوا الحروب على الدولة الاسلامية ، ويقتطعوا لهم من جسمها الكبير ولايات يحكمونها . فانهسر نفوذ السلطة المركزية وانكمش



حتى أصبحت هيكلًا بدون روح ، وشكلا لا حياة فيه .. ومن خلال هذا التفتت وضياع هيبة السلطة الاسلامية تسلل النفوذ الغربى عن طريق شركة الهند الشرقية الانجليزية ، والشركات الهولندية والفرنسية (١) التى تصارعت فى بادئ الأمر على بسط نفوذها على التركة الاسلامية الواسعة .. الى ان انفردت شركة الهند الانجليزية بالسيطرة ، بعد ما قضت على الشركات الاخرى المنافسة لها فخلت الساحة لها لتنفيذ خطتها الاستعمارية التى استهدفت السيطرة الكاملة - اقتصاديا وعسكريا وسياسيا - على الهند كلها ، لكن المسلمين قاوموها مقاومة عنيفة ، بلغت فى

---

(١) بدأت هذه الشركات عملها التجارى فى ارض الهند ، ابان قوة الحكم الاسلامى وازدهاره .. وكانت تسعى ما أمكنها السعى لتحظى بالقام الاول فى الحصول على مركز تجارى يتيح لها مكسبا تجاريا فى محصولات الهند التى كانت تصدرها الى أوروبا ، وكان الحكام فى أوج قوتهم ، لا ينظرون الى هؤلاء الا نظرتهم لتاجر يريد ان يكسب مالا من تجارته ، لا أن يكسب أرضا وييسط نفوذا .. ولذلك تركوهم يتاجرون ، وربما منحوهم بعض التسهيلات التجارية .

ولكن هؤلاء كانوا كالمرابى الذى لا ينظر الى فائدته الربويه ، بقدر ما يرمى من بعيد للحصول على الأرض والاستيلاء عليها .. وكانت هذه الشركات تعمل ، ومن ورائها حكوماتها التى تسعى الى التوسع الاستعمارى ، ووانتهت الفرصة حين ضعف الحكم الاسلامى وتفتت وحدة البلاد وانشغالها بحرب بعضها بعضا ، فبدأت فى دور جديد ، وهو دور بسط النفوذ على البلاد وأخذت هذه الشركات تتصارع على اللقمة الدسمة الكبيرة التى أمامها .

بعض مراحلها حد الاشتباك المسلح ، فقد قام الامر سراج الدين  
بالحجوم المسلح على حصونهم في البنغال وكاد ان يقضى عليهم ،  
لكنه فشل بسبب خيانة بعض قواده فقبض عليه وأعدم .

اتخذ الانجليز من هذه الاحداث تكةا لاحكام قبضتهم على  
البنغال ثم اتخذوها قاعدة للسيطرة على البلاد كلها .

لم ييأس المسلمون ، فحاول حيدر على القضاء على الانجليز  
في الجنوب مستغلا النزاع القائم بينهم وبين الفرنسيين ، ثم سار  
ابنه على دربه ، فحمل السلاح ، لكنه خر صريعا في المعركة ، فظن  
الانجليز ان الجو قد خلا لهم فبدأوا ينفذون الخط للقاء على  
البقية الباقية من المقاومة الاسلامية .

وضحت صورة الاستعمار البغيض امام عيون المسلمين ،  
وأدركوا أبعاد الشر القادم من الغرب للقضاء على مبادئهم  
وتقاليدهم الدينية ، كي يتمكن من استغلال مواردهم  
البشرية والمادية ، فأحسوا بالكابوس الاستعماري يثقل كاهلهم ،  
وشعروا بالاغلال التي قيدتهم بها جيوش المستعمر ، فامتلات  
نفوسهم غيظا وأفئدتهم حقدا ، واشتد غليان الدم في عروقهم ،  
فدفعهم الى ثورة جامحة في عام ١٢٧٤ هـ - ١٨٥٧ م ، لكن توقيتها  
كان متأخرا ، فقد جاءت بعد أن بسط الانجليز نفوذهم على كل البلاد  
تقريبا ، ففشلت ، وتحمل المسلمون وخدعهم نتائج هذا الفشل أمام  
العدو المنتصر ، فمثل بهم الانجليز شر تمثيل ، وعملوا على اذلالهم  
ومطاردتهم ، والقضاء على كل حيوية فيهم ، فقبضوا على الامبراطور  
المسلم « سراج الدين أبو ظفر شاه » الذي كان يهدف الثوار الى  
ارجاع سلطته ونفوذه اليهم ، فحاكموه ، وحكموا عليه بالاعدام ،  
ثم خففوا الحكم عليه بنفيه الى « رانجون » عاصمة بورما ، وظل  
حبيسا هناك حتى لقي ربه ودفن بأرضها . ثم أعلنت الملكة



فيكتوريا ضم الهند لمستعمرات التاج البريطانى ، فتتأبعت  
النكبات على المسلمين بتمكين المستعمر ، حيث أقام نظاما لحكم  
البلاد ، يعتمد على :

- مئات من الخبراء يؤازرهم الجيش .
- وعلى اصطفاء عناصر تدين له بالولاء السياسى والفكرى .
- وعلى استبعاد كل من فى قلبه مثقال ذرة من حمية للوطن أو  
الدين عن مناصب الحكم والوظائف العامة .
- ثم أقام نظاما للتعليم لا يوافق طبيعة المسلمين ، فأبعدوهم  
بذلك عن مجال الثقافة .
- ويعتبر هذا التاريخ - وهو منتصف القرن التاسع عشر  
الميلادى - ذروة - النفوذ الاستعمارى فى العالم الاسلامى .



ثانيا - الوضع الاستراتيجى للعالم الاسلامى :

( أ ) فهو يتحكم فى حركة المواصلات العالمية : برية ، وبحرية ،  
وجوية :

« أدركت القوى الاستعمارية ذلك ، فحاولت السيطرة عليه  
لتنضم سلامة تجارتها ، وقد عبر « باول شمتز » فى كتابه :  
« الاسلام قوة الغد العالمية » عن أهمية منطقة العالم الاسلامى لأوروبا  
فقال : « عرفت أهمية العالم الاسلامى على مدى القرون ، ذلك  
انه كان يمثل جزءا من شبكة خطوط المواصلات فى العالم ، فمن  
المعروف ان الشرق - قبل ظهور الاسلام - احتل مركزا هاما ، لان  
الطرق العالمية الكبرى من الغرب الى الشرق الاقصى ، كانت تمر  
خلال ارضه ، فكان يسيطر على جزء كبير منها ، وهو الممتد من  
شمال افريقيا وغرب آسيا الى الشرق الاقصى ، وكان شكل الاوضاع  
السياسية فى هذه البقعة يلعب دورا كبيرا فى الاحداث والتجارة  
العالمية .

« ان اهمية المنطقة الاسلامية ، في نظام التجارة العالمية ، في ذلك الوقت كانت واضحة ، وحقيقة واقعة ، فحكامها كانوا يستطيعون التحكم في الاسعار عن طريق رفع رسوم المرور والجمارك ، بل كان في مقدورهم قطع الطريق كله ، اذا بدا لهم أن ذلك فيه فائدة لهم ، أو رغبوا فيه اعتمادا على أى سبب . ومن هنا ظهرت الاطماع في السيطرة على هذه المنطقة ، وصاحب ذلك تقييم قوى الشرق والغرب ، الذى ظهر واضحا في النزاع حول المراكز التجارية . في أرمينية ، وبلاد ما وراء النهرين ، فقد نشط الصدام لأول مرة بين الدولة الرومانية القديمة – وفيما بعد بين الدولة البيزنطية – وبين العنصر المغولى الزرادشتى ، وقد لعب هذا دورا كبيرا في تحديد مصير العالم الغربى لعدة قرون .

« ان دور الشرق الأدنى كان مفهوما ، وأهميته ثابتة ، فهو الوسيط بين الشرق الأقصى ، وأوروبا في التجارة ، يلعب دور البائع والمشتري ومن خلال ذلك يسوق منتجاته الخاصة ، اذ أن مراكز التبادل التجارى تقع منذ قرون عدة على شواطئ البحر الابيض المتوسط في بلاد الشرق .

« ولم يتغير شيء من هذا بعد ظهور الاسلام فبعد أن قضى الاسلام على الخلاف بين القبائل العربية ، وغرس الروح الدينية الاسلامية عند العرب ، استطاع هؤلاء أن يقضوا على المملكتين اللتين كانتا تتسمان تلك المنطقة الآسيوية : سقطت المسيحية البيزنطية في الشمال الغربى والفارسية الزرادشتية في الشمال الشرقى ، وطبعت تلك البلاد بطابع اسلامى . ثم زحف الفتح الاسلامى الى شمال افريقيا ، وتعداه الى اسبانيا ، وكان علم الاسلام يرفرف على كل تلك المناطق في عام ٧٥٠م وأصبح قرح الزند في المجالات السياسية والتجارية في الشرق الأدنى في يد الدولة الاسلامية ، التى مدت سلطانها على المنطقة جغرافيا وثقافيا .



« لم يتخل الشرق في عصر صدر الاسلام عن دوره كوسيط بين البلاد الغربية والشرق الاقصى ، فسارعت البلاد الغربية الى ملائمة نفسها مع مصالح تجارة الشرق ، وبذلك استمرت تجارة بلاد الشاطئ الشرقي للبحر الابيض المتوسط في الازدهار .

« ولكن تغير هذا الوضع عندما قامت الحروب الصليبية . . . التي لم يحركها الاحتياج الاقتصادي للبلاد الغربية ، ولم تحركها الرغبة في أن توضع تجارة الشرق في أيدي البلاد الغربية ، بقدر ما حركتها الفكرة الدينية ، التي هيات لصدام الدول الغربية بالشرق .

« أسست أول مستعمرة مسيحية غربية في بلاد الشرق في زمن الحروب الصليبية ، ولم يهتم الغازون في هذه المستعمرات بالناحية الدينية ، بل مارسوا مصالح تجارية . كهدف أول ، ولم يكن تأسيس الدول في تلك المنطقة سوى محاولة جديدة لممارسة توسيع سيطرة الغرب على بلاد الشرق فقد حمل الصليبيون معهم فكرة مدروسة ، مفادها : أن أهمية السيطرة على منطقة غرب آسيا لا يمكن أن يقدر !! اذ هي نقطة اتصال بين الغرب والشرق الاقصى . وثبتت صحة هذه الفكرة لحكام تلك المنطقة منذ قرون ، ومازالت حتى اليوم . »

لم تفقد المنطقة هذه المكانة في عصر الطيران ، بل ازدادت أهميتها جاء ذلك في تعبير « باول شمتز » عن الوضع الاستراتيجي للعالم الاسلامي بعد اختراع الطائرات ، حيث يقول :

« لم يحتل العالم الاسلامي مكانا أسمي ، ولا أوضح أهمية ، ولا أحسن صنعا مما ناله ، عندما أقيمت شبكة مواصلات جوية من ( ٣ - أثر البيئة )

أوروبا الى الشرق الاقصى ومنها الى وسط وجنوب أفريقيا ، فقد احتلت مصر المكان الاول في عالم المواصلات الجوية ، والنقل بالطائرات ، لانها نقطة ربط في هذا المجال ولم ينل بعد أى مكان في العالم مثل هذه الدرجة . فشركات الطيران الانجليزية والفرنسية والالمانية والهولندية والايطالية ، مهدت الطريق جوا في سنى ما بعد الحرب عبر الشرق الادنى ، وربطت أوروبا بالشرق والجنوب مارة بهذه المنطقة . . واصبحت البلاد الاسلامية ، ركائز الطريق الجوى الى الهند واستراليا والشرق الاقصى وجنوب أفريقيا

«لم - ولن - تفقد المنطقة أهميتها بالنسبة للتجارة وحركة المواصلات العالمية، وبالتالي كانت - وستظل - حياتها كلها صراعا مع الطامعين فيها، وسوف تشهد المنطقة صراعا مرا بين الشرق والغرب ، صراعا مثل الصراع الذى دار عبر العصور الماضية ، صراعا لى يهدا مادام للمنطقة هذا الوضع الاستراتيجى ، مادام الاسلام حيا فيها .»

### (ب) ويملك قوى بشرية ومادية هائلة :

وهى من العناصر الرئيسية فى الصراع الدولى ، اذ ترجح كفة الدولة بقدر ما تملك من هذه القوى ، لو أحسنت استخدامها ،

فطن الاستعمار الغربى لهذه القوى ، التى يملكها العالم الاسلامى ، ففطق يرسم خططه على أساس عدم تمكين المسلمين من الاستفادة من هذه القوى ، ورغم عكوفه على هذا العمل ، منذ اتصاله بالعالم الاسلامى ، وعدم توانيه لحظة عن التفكير فى اضعاف المسلمين من هذا الجانب ، فما فتى المفكرون فى الغرب يحذرون وينذرون قوادهم وسياستهم من عدم توازن القوى بين الشرق والغرب ، لو خلى بين المسلمين وبين الاستفادة من هذه القوى التى يملكونها . . يقول : « باول شمتر » :



« تشير ظاهرة نمو السكان في اقطار الشرق الاسلامي الى احتمال وقوع هزة في ميزان القوى بين الشرق والغرب ، فقد دلت الدراسات على أن لدى سكان هذه المنطقة خصوبة بشرية ، تفوق نسبتها ما لدى الشعوب الأوروبية ، وسوف تمكن الزيادة في الانتاج البشرى الشرق على نقل السلطة في مدة لا تتجاوز بضعة عقود - أى عشرات قليلة من السنين - وسوف ينجح في ذلك نجاحا لا نرى من أبعاده اليوم الا النذر اليسير » .

وبعد أن يبين مقدار نمو السكان في مصر - كمثال - كما تشير بذلك أرقام الاحصاء في أعوام ١٨٨٧ و ١٨٩٧ و ١٩٠٧ و ١٩٢٧ و ١٩٣٧ يقول :

بينما يعكف الباحثون في أوروبا على دراسة الظواهر ، التى تشير الى الانخفاض المستمر في عدد السكان ، ويحاولون تبييد التشاؤم ، الذى سببته نتائج دراسات احصائيات تعداد السكان حيث تبين :

متى تختفى الامة !!

بينما الحال هكذا في أوروبا ، ينشر السياسى المصرى المهتم بالمشاكل السكانية ، أن تعداد مصر - اذا استمر معدل هذه الزيادة في الاضطراد - سيبلغ بعد ٦٠ عاما حوالى ٣٢ مليوناً (١) أى أن العدد سيكون ضعف العدد الحالى - حسب احصائية ١٩٣٧ م -

(١) تجاوز التعداد هذا التقدير في مدى أربعين عاما ، اذ يبلغ عدد السكان الآن طبقا للبيانات الرسمية ٤٠ مليوناً .

وبعد مائة سنة سيزداد سكان وادى النيل - أى مصر - الى ٤٩٦ مليون نسمة وبعد ٣٠٠ سنة ، حوالى ٥٠٠ مليوناً ، وبعد ٤٢٥ سنة ، حوالى ٢ ملياراً - أى أنه سيكون فى مصر أعداد من البشر تساوى ما هو موجود الآن ( فى سنة ١٩٣٩ ) على ظهر الارض - وسيصبح فى مصر فى مدى ٩٦٨ سنة - أى بعد أقل من ألف عام بقليل - أمة تعدادها ٩٧٣ ملياراً من البشر ، أى أنها سوف تنمو بشريا الى درجة لا تمكنها فقط من استعمار الكرة الأرضية ، بل من استعمار أعداد من الكواكب السيارة الاخرى .

ومهما كان الامر ، فإن الـ ٤٩ مليوناً من البشر ، المتوقع وجودها - طبقاً لهذا الحساب - فى مصر عام ٢٠٣٧ م تدعو الى التفكير العميق والتخطيط البعيد المدى .

« ان الاضطراب فى زيادة عدد السكان يخلق مشاكل لا حصر لها ، ويبدؤ بذور القلق فى مسارات السياسة الدولية . ولا يقتصر على مصر وحدها بل سيوجد أيضاً - مع اختلاف بسيط - فى الشرق الاسلامى كله ، ويتوقع المراقبون أن تكون هذه الظاهرة احدى نقط النزاع بين الشرق والغرب وهذا أمر على جانب كبير من الأهمية ، فمائة عام - وهو الزمن الذى قدر لبلوغ تعداد سكان مصر ٤٩ مليوناً - زمن قصير فى حياة الشعوب وفى سجل التاريخ » .

ثم تتبع نسبة الزيادة فى تركيا وفلسطين وفى الجزائر وتونس وعقب عليها قاتلاً :

لو طبقنا ما توصلت اليه دراسة الاحصاءات السكانية فى مصر وتركيا على جميع مناطق العالم الاسلامى التى توجد فيها أنظمة حديثة لتعداد السكان - اذ يعتمد فى احصاء السكان فيها



على التقدير ، ويمكن الاعتماد على نتائجها ، لأن غالبا ما يوصل الى حقائق مؤكدة - لظهرت لنا ابعاد مؤثرات القوى البشرية ، فهي تسهم الى حد بعيد في بناء قوة عالمية .

لقد دفع الصراع بين القوى الأوروبية ، العظمى ، وبين الشعوب الاسلامية - وهو صراع نتج عن اتجاه أوروبا الى التوسع الاستعماري - الى ضرورة القيام بدراسات مقارنة ، في المجال السكاني ، للوقوف على اتجاه ميزان القوى - من الناحية البشرية - بين الطرفين ، وتوصل الباحثون الى نتيجة ، تدعو الى التفكير والتأمل فقد اثبتوا - بناء على ارقام توصلوا اليها في عام ١٩٣١ - أن بين كل ٣١٢ من البالغين في أوروبا (١) يوجد شاب واحد تحت الخامسة عشرة ، أما في مصر وتركيا وإيران فقد أثبتت الاحصاءات التي أجريت في نفس العام ، أن فيها شابا تحت الخامسة عشرة بين كل ١٣٨ من البالغين ، وطبقا لهذه النتيجة ، التي تبين اختلاف نسبة الاطفال ، الى البالغين في أوروبا والعالم الاسلامي ، أمكن للمرء أن يتنبأ ، بأن تفوق الانتاج البشري في المنطقة الاسلامية ، سوف يؤثر تأثيرا بالغا على العلاقة بين الشرق والغرب في عشرات السنين القادمة .

« لا يمكن أن يغيب عن المرء - اذا قارنا اسباب القوة بين

---

(١) نشرت الصحف في ٢٠/١٢/١٩٧٨ أن الرئيس الفرنسي « جيسكار ديستان » ناشد الشعب الفرنسي العمل على كثرة النسل ، وحذرهم من مغبة الاقلال من الانجاب لان المؤشرات تدل على ان الشعب الفرنسي في اقلال مضطرد ( انظر جريدة الاخبار القاهرية في ٢١/١٢/١٩٧٨ ) .

الشرق والغرب في الوقت الحاضر - انه سيتضاعف عدد السكان في العالم الاسلامي في مدى عشرات قليلة من السنين ، ولا ينبغي ان ينسى ، ان الداعين الى الاخذ بأسباب نمو القوة البشرية - عن طريق تشجيع النسل ومحاربة الدعوة الداعية الى تحديده - يزايدون يوما بعد يوم ، وأن تفوق أوروبا في التكنولوجيا على الشرق ، ينقص عاما بعد عام ، لان الشعوب الاسلامية اتجهت الى تطوير نفسها وبناء حضارتها الحديثة بالوسائل الهندسية الأوروبية ، وتكرس جهودها اليوم لزيادة انتاجها ، يساعدها في ذلك وجود المواد الخام بكثرة في بلادها . فلو رتب المرء ما يملك الشرق من اسباب القوة ، لبدا له ان الخصوبة البشرية ، التي تسبب النمو السريع في زيادة عدد السكان ، تأخذ مكانا لا يستطيع المرء اغفاله بسهولة ، فكثرة السكان لها آثارها البعيدة ، لانها - وان كانت أبعادها لا ترى بالعين المجردة في الوقت الحاضر - ستحدد بطريقة حاسمة المستقبل السياسي للعالم الاسلامي ، وستكون من اهم العوامل التي يركز عليها أمنه وسلامته . (١) .

.. كانت - ولا تزال وستظل - الخصوبة البشرية في منطقة العالم الاسلامي سببا في أصابة الأوروبيين بالقلق والخوف على وضعهم الدولي فانبث دعائهم في المجتمعات الاسلامية ، يروجون لتحديد النسل زاعمين ان كثرة الانجاب من علامات التخلف الحضاري ، وان كثرة الاولاد تجلب الفقر وتورث التعماسة ، وان الزيادة المطردة في تعداد الأمة تبتلع الموارد المادية للدولة ، الى درجة العجز والافلاس ، وهم يعلمون تماما ان ثروة العالم الاسلامي لو تركت له ، لزادت عن حاجته ، ولاستطاع بها - مع امكاناته البشرية الهائلة - ان يبني قوة عالمية :

(١) راجع كتاب « الاسلام قوة الغد العالمية » ، الباب الرابع .



« أثبتت الأبحاث ، التي أجريت بعد اكتشاف البترول في غرب آسيا أن وجوده لا ينحصر بأى حال من الأحوال ، في حقول جنوب إيران وبلاد ما وراء النهرين ، وأكدت وجود حزام عريض من البترول ، يمتد من الشاطئ الغربى للبحر الأحمر حتى الخليج الفارسى ، ومنه عبر حقول الزيت في جنوب إيران ، مجاوزا شمال شرق إيران - وكذا شماله - الى أفغانستان . وتشير الاحتمالات أنه لم يكتشف حتى الآن من هذا الحزام البترولى سوى جزء صغير جدا ، وعليه فلم تستوعب بعد الثروة البترولية في العالم الإسلامى ، تلك الثروة التى تمده ، كما تمد دوله بأسباب القوة وبمقومات الاعتماد على النفس ، والتحرر من النفوذ الاجنبى . وليس من السهل ان يدرك المرء في الوقت الحالى ما يحدثه البترول من تغييرات سياسية واجتماعية في هذه المنطقة من العالم . »

ولذا فقد تكالبت عليها القوى الاستعمارية ، لتسلب منها هذه الثروة ، وكان هجومها شرسا لان حياتها متوقفة على امكانية السيطرة على منابع البترول - وغيره من المواد الخام ، التى يملكها العالم الإسلامى - فهو عصب الثورة الصناعية التى تقوم عليها النهضة الأوروبية .

« شهد الشرق الإسلامى هجوما أوروبيا ، اقتحمت عليه القوى الأوروبية دياره ، فخضع لها ، وأعطاه امتيازات ، فتحوّلت المنطقة الإسلامية الى ساحة للبحث الشامل والمنظم للتوصل الى امكانية تطويرها واستخراج المواد الخام من ارضها ، لان النهضة الصناعية في أوروبا تفنقر اليها لذلك انطلق الأوروبيون يبحثون عن المواد الخام في أرض الشرق الإسلامى ليغذوا بها مصانع أوروبا الجائعة . اتخذوا هذه المنطقة كلاً مباحاً لأن المبادئ الأساسية في الاقتصاد العالمى ، جوزت آنذاك ، أن تعطى البلاد المستعمرة - سواء كان استعمارها

كلية أم جزئيا والمنطقة الاسلامية كانت موزعة بين هذين النوعين من الاستعمار - ما تملكه من المواد الخام لدول غرب ووسط أوروبا ، التي قطعت شوطا كبيرا في تصنيعها وتقوم هذه الدول بتصنيع ما يورد لها ثم تغمر به اسواق الكرة الارضية .

لم تهدأ مقاومة المسلمين للاستعمار الغربى ، حتى اضطر الى تغيير استراتيجيته ، فاعترف بالاستقلال السياسى للأقطار الاسلامية ولكنه ظل مسيطرا على المجالات الاقتصادية .

يقول بعض المهتمين بشئون الشرق الاسلامى :

« تشير سيطرة شركات البترول الكبرى ، وتسلطها في العالم الاسلامى على ان الاستقلال السياسى لهذه المنطقة ، لن يكن سوى واجهة خداعة ، اذ تدل الحقائق على ان منطقة الشرق الاسلامى لن تخرج خروجا كلية من دائرة الوصاية الأوروبية ، وأن ما يبدو في المنطقة من ظواهر يعتقد البعض انها مقدمات لقوة نامية ، ليس الا احتمالات لم تخرج الى الواقع بعد ، ويحتمل عدم وجودها ، ويستدلون على ذلك بأن استعمار الدولار يحل - بسرعة متزايدة - محل استعمار الارض . . وان الرقابة السياسية استبدلت بالرقابة الاقتصادية ، وبذلك رسخت سيادة الغرب على الشرق - وان تغيرت صورتها - ولم تضعف ، ولم تهن وسوف تمتد زمنا طويلا ، .

استعادت الدول الاسلامية سيطرتها على منابع البترول ، ولكن المفكرين الغربيين ما زالوا يطلقون الصيحة تلو الاخرى ، من مغبة انفراد الدول الاسلامية في التجكّم في مصادر الطاقة ، ويحفزون سياستهم الى اتخاذ الوسائل ، ضد ما يمكن ان يحدثه هذا الوضع من تهديد للمصالح الغربية .



« ان تصفية امتيازات البترول في غرب آسيا وانتقال تركة الاستعمار الدولارى » الى الدول الاسلامية تديرها ذاتيا ، بحيث لا تحتاج الى مساعدة اجنبية ، في توجيه انتاجها ، أى انها تقتصر في هذه التركة دون الخضوع لادارة اجنبية . . سوف يحدث هذا في الوقت الذى يصبح فيه - طبقا لما أثبتته الابحاث الدقيقة - مخزون البترول الامريكى ضعيفا ويوم يقل الانتاج الغزير لهذا البترول ( أى الامريكى ) الذى يغزو أسواق العالم اليوم ( أى فى عام ١٩٣٩ م ) ، سيحتل البترول الاسلامى ( حسب التقديرات المتحفظة جدا ) - بعد اكتشاف باقى حقول الحزام البترولى في غرب آسيا - مركزا دوليا هاما ، وسيصل انتاجه رقما لم يعرف بعد ، ولا يستطيع الخبراء التكهّن به لانه يفوق كل تقدير . . يجب ألا نغفل عن دلالة هذا التغيير وتأثيره اقتصاديا في مركز العالم الاسلامى على مسرح التبادل التجارى العالمى » .

لم ينهب الاستعمار من ثروات العالم الاسلامى البترول فقط ، بل كل أنواع المواد الخام من حديد وفحم وقطن . . و . . الخ .

وكانت - ولا تزال - هذه المواد مصدر اغراء ، دفع القوى الغربية الى الاستعمار السافر للعالم الاسلامى ، ودفع - ولا زال يدفع - القرى الشيوعية الى التغلغل داخل المجتمعات الاسلامية ، لفرض سيطرتها المقنعة على مراكز الحكم والتوجيه .

دفع :

- الاضطراب المستمر في زيادة عدد السكان بين المسلمين ،

- والثروة الوفيرة ، التي يكشف عنها البحث كل يوم في اراضيهم ،  
- والمركز الاستراتيجي الفريد في المواصلات العالمية ،  
الاستعمار الغربي الى شن الحرب على العالم الاسلامي في جميع  
الميادين :

- عسكرية ، وسياسية ، واقتصادية ، وفكرية - كي يسيطر  
عليه ويخضعه لرقابته . وشمل الصراع جميع اقطاره ، فقد كان  
الاستعمار يعتبر انتفاضة المسلمين في الهند تهدد مركزه في الشرق  
الاطلس . وكان يرى ان نجاح شعوب الشرق الاوسط في الحصول  
على الحرية ، يهز الأرض من تحت اقدامه في الهند والمناطق الاسلامية  
الاخرى ، ولذا فقد شملت خطته اضعاف المسلمين في كل الاقطار ،  
واستعمال كل الاسلحة للوصول الى هذا الهدف ، استخدم القوة  
العسكرية ، وباشر الحصار الاقتصادي وتدخل في البرامج التعليمية،  
وشجع اناسا على نشر دعوات في المجال الديني ، لتخريب العقيدة  
الاسلامية ، بغية ابعاد المسلمين عنها ، لانها مصدر قوتهم .



**ثالثا - رفض المسلمين السيطرة الاجنبية :**

تشترك جميع الشعوب في غريزة رفض السيطرة الاجنبية ،  
ومقاومة النفوذ الاجنبي ، ولكن درجات المقاومة ، وحدتها تختلف  
من شعب لآخر .



فمن الشعوب من يتخذ المقاومة السلبية طريقا للخلاص من  
قبضة الأجنبي .

ومنها من لا تستمر مقاومته الايجابية زمنا طويلا ،  
ثم يخضع ، وينفذ ما يرسمه له السادة الجدد . بل ويقلدهم في  
مختلف نواحي حياتهم الثقافية والاجتماعية ، فتذوب شخصيته في  
تقاليد المستعمرين الجدد .

ومنها من لا تهذا مقاومته ، وان طال الزمن ، وامتد الدهر  
ببقاء المستعمر على أرضه ، واشتد طغيان القوة الغاصبة لبلده .  
وان سكنت مقاومته ، فليس الا لتضيق جراحه ، وتجميع قواه ،  
لبدء جولة جديدة ضد من سلبه حريته وأرضه واستحل حرماته  
وثرواته ، وخطط لتخريب افكاره ، وتوعين عقيدته .

وجد هذا النوع من الشعوب في جميع الحقب التاريخية ،  
ولكن الشعوب الاسلامية ضربت المثل الاعلى في رفض السيطرة  
الاجنبية ، اذ لا يوجد في تاريخ البشرية ، شعب تكالبت عليه  
القوى العظمى في العالم ولم تتفق فيما بينها على شيء مثل اتفاقها  
على القضاء على عقيدة المسلمين ، ومع ذلك أبى المسلمون الاستكانة  
للهزيمة ، والاعتراف للغالب بأى حق في بلادهم ، فاستمروا في  
كفاحهم نزعونا يصارعون العدو مرة ، ويصرعهم اخرى ، وكلما ظن  
المستعمر ان الساحة قد خلت من المقاومة اندلعت من بين القوى  
المتهاكة تحت سفابك خيله ، نيران تقض مضجعه وتبدد أحلامه ،  
وتؤكد له من جديد ، أن الصراع بين المسلمين والمستعمرين - وبتعبير  
أدق بين المسلمين وبين من لا يدين بدينهم من المستعمرين الغاصبين  
- لن ينتهى بهزيمة المسلمين في معركة لانهم لا يرضخون للهزيمة  
ابدا والاحداث في المنطقة الاسلامية تؤكد هذا ، يقول « شمرت » :

« .. وكان زحف القوات الأوروبية على فارس مقمما لعملية اخضاع

المراد الاسلامى وقضاء على حريته السياسية ، فتهاوى هذا التمثال العملاق ، وخفت صوته .. فاعتقدت الدول الغربية انها وضعت يدها على غنيمة خالصة لها ، لا ينافسها احد فى التصرف فيها ، ولا يقف فى طريقها احدى العقبات ، فقيادة شعوب المنطقة ستكون سهلة - لأن القوى الوطنية ماتت ، أو فى طريقها - واستغلالها مباح ، غلن يستطيع الموتى دفاعا ، ولا احتجاجا .. ثم بدأت الدول الغربية توزع الغنائم ، وفى هذه اللحظة بدأ فى الافق : ان القيود التى كبلت الشرق عشرات السنين ، قد تمزقت ، نتيجة تفاعل قوى كامنة فى طبيعة هذه الشعوب لا يعرفها الا من درس عقائدها ، واخلقها ، وتاريخها ، وغاص فى مجتمعاتها بحثا عن هذا الابداء الهزيمة ، وهذا الرفض للسيطرة مهما كانت قوة المستعمر وجبروته :

ارتفعت اصوات هذه القوى ، وتساوت مع الدول الغربية ، المدعومة بالسلاح ، وفى دعوتها ارث هذه المملكة - اى المملكة العثمانية - التى تهاوت فى الحرب العالمية ، وتناولت هذه القوى فانتزعت لنفسها حق المساواة مع القوى الاستعمارية فى امتلاك هذه التركة ، التى خلفتها الحرب العالمية ( الاولى ) .

لقد خرج من اودية الانقراض التى خلفتها الحرب العالمية فى منطقة العالم الاسلامى ، شبح تمطط - كما تقول الاسطورة : مات الطائر وحرق .. ثم .. خرج من التراب ، الذى خلفته النار طائر اسرع من الذى مات - فى كل مكان ، بانثرا بذور الثورة ضد الاطماع الاستعمارية ، داعيا الى الاحتماء بالعقيدة ، وتجميع المسلمين حول ايدىولوجية اسلامية جديدة ، لمواجهة الخطر القادم من الغرب ، وللقضاء على دعوى الدول الغربية ، بأن لها حقاً فى ارث هذه التركة ، التى خلفتها السلطنة الاسلامية فى تركيا .



قد تبدو الخلافات على سطح العالم الاسلامي ، اذا ما سيطرت  
الروح المادية على تصرفات قادته ، وحكامه ، ولكن الشعوب تشعر  
بربط الوحدة الاسلامية الذي يربط بينها في المصير ، وان اختلفت  
البيئات جغرافيا ، وتعدد اللسان لغويا . ومن هذا المنطلق تتجاوب  
الاصدا ، في جميع جنبات الاقطار الاسلامية عندما يتعرض اقليم  
لبطش الاجنبى ، فيهب الجميع لمساندة اخوانهم والوقوف معهم  
فتتشابك أيديهم ويقفون جنبا الى جنب ، لتحقيق هدفهم المشترك .  
ألا وهو التخلص من الاستعمار وبناء قوة اسلامية - عالمية -  
يخشى بأسها الجميع .

• أيقظت الوحدة الفكرية للإسلام في جماهير هذه المنطقة  
الشعور بوحدة المصير فانبثقت حركات متعددة تستهدف عودة  
القوة العالمية للإسلام ، وقد جمعها حول هذا الهدف الموحد : العقيدة  
المشتركة . التي جذبتهم - وما زالت - نحو غاية واحدة ، على الرغم  
من اختلاف اسلوبهم ، وتباين طرقهم ، للوصول الى هذه الغاية ،  
وقوى التقارب باشتراكهم في معاداة الغرب ، وانتشار هذه العداوة  
للقوى الاستعمارية في كل مكان في الشرق ، فأيضا وليت وجهك  
قابلتك مظاهر البغض للدول الأوروبية . ولست أثر ذلك في جميع  
نواحي الحياة الفردية ، وفي اسلوب الدعاية لدى جميع الهيئات  
السياسية والاجتماعية .

اضفت الحيوية - التي احست بها الجماهير ، نتيجة توحيد  
الاهداف الرامية الى احياء الاسلام ، كواجهة للدولة الحديثة - قوة  
على الشعور بوحدة المصير . فقادته شعوب الشرق الاسلامي  
نضالا - انتشر على كل رقعة من بقاعه ، شرقا وغربا ، وشمالا  
وجنوبا - ضد الدول الاستعمارية ، كي تحافظ على وجودها .  
وساعد هذا النضال المشترك - ضد قوى اجنبية ، اجتمعت على

استغلال هذه المنطقة ، واستنفاد ثروتها - على ظهور قوى قوية .  
كان لها اثر في التماسك الجماعى ، وكسر حدة الاحتكاك الذى كان  
يمكن أن يقود الى نزاع شعوبى .

من النادر أن يظهر كتاب أوروبى عن الشرق ، دون أن يحتل  
الحديث فيه عن الاسلام اكبر مساحة منه ، ودون أن يحذر مؤلفه  
رجال السياسة من الاسلام كقوة تهدد أوروبا ، مبينا لهم أنه - أى  
الاسلام - الدافع الاول لشعوب المنطقة في رفضهم السيطرة  
الأوروبية :

« ان المحرك الاول للقلق العربى وثورات الشعب ضد المخطط  
الاستعمارى في فلسطين ، هو الدين . ويبلغ الحماس ذروته ،  
ويصل الغضب الى درجة الغليان في يوم الجمعة ، حيث يجتمع  
آلاف المصلين في المسجد ، يستمعون الى خطبة الجمعة ، التى غالبا  
ما تكون موجهة الى اثارة العواطف الدينية فيهم فيخرجون غاضبين  
على اولئك الذين يتعاطفون مع الصهيونية ، ويؤيدونهم في إقامة  
وطن لهم على هذه الارض العربية . وقد فهم الزعماء السياسيون  
هذا الجانب فكرسوا جهودهم لابقاظ الشعور الدينى لدى المسلمين.  
لخدمة الاهداف السياسية فاشترك علماء الدين في الحركات الوطنية  
- وكان ذلك احد الاسباب التى جعلت بريطانيا تفكر في موقفها  
بالنسبة لانشاء وطن قومى يهودى في فلسطين فتحاول اظهار  
التعاطف مع الجماهير العربية - وكانوا قادتها ، فقد تزعم شيخ  
له مكانة فكرية وروحية في المجتمع ، الحوادث التى وقعت في  
سنة ١٩٣٦ ، واستمد الفدائيون من هذه الزعامة قوة ، دفعتهم  
الى التقاى في سبيل قضيتهم وعدم المبالاة بما يصيبهم ، لانهم  
يعتقدون :



« أن الموت في سبيلها شهادة يثاب عليها بالجنة »

فلم تهن عزيמתهم ، ولم تخر قواهم في احلك الظروف ، وادق  
المواقف ، ولم يفنروا لحظة عن تذكّر الله ، والاتصال بعقيدتهم ،  
عن طريق اداء العبادات والاكثار من السنة وقراءة القرآن .

« .. وتعتبر المنطقة العربية : اهم المناطق التي بدت فيها  
ظاهرة العلاقة المتبادلة بين القوى الدينية ، والقوى الوطنية ، وقوة  
تماسكها لان كلتا القوتين ، اللتين تجتمعان في القومية الاسلامية  
متكافئتان ، ولان :

« ما يجرى على الارض العربية ، يحدث صدى في كل ارجاء  
العالم الاسلامى فهذه المنطقة بالنسبة للمسلمين بمثابة القلب ،  
تتوقف على ضرباته حياة باقى الجسد ، لذلك يتأثر المسلمون في  
جميع انحاء الكرة الارضية ، بالاحداث الجارية على ارض هذه  
البقعة من وطنهم الاسلامى ، ان مدا أو جزرا . »

« .. اتحدت القوى القومية مع الاتجاهات الدينية في العانم  
الاسلامى ، وكان تأثير الروح الدينية عليها متفاوتا بين قطر وآخر ،  
قلة وكثرة ، غير أن الاقطار كلها يجمعها طابع واحد ، الا وهو  
تجميع الاتجاهات الوطنية في اطار القومية الاسلامية ، وهذا يتطلب  
مزيدا من التكاليف واستمرار العمل المشترك في كل مجالات الحياة ،  
فهو التقاء يبعث الروح الجماعية بين الشعوب الاسلامية - من  
مراكش حتى حدود الهند والصين - ويحيى فيها الشعور بوحدة  
المصير ، الذى يحتم على المسلمين التجمع حول رباط شرقى  
اسلامى . »

« ويلتقى الشعور بوحدة المصير - الذى بعثته القومية الاسلامية فانتشر بين المسلمين انتشارا واسعا وسريعا - طاقته السحرية ، وقوته الجبارة من مكة ، من تلك المدينة ، التى أطلق عليها ذات يوم « قلب الاسلام » بينما عرفت القاهرة بأنها : « رأسه » ، والقسطنطينية بأنها « يده » .

« هنا فى مكة يجتمع المسلمون من كل ارجاء العالم مرة فى السنة اثناء الحج الاكبر ، يلتقون مع بعضهم بعد ان يطرحوا عنهم كل اثر اجنبى ، خارج المنطقة الحرام ، المضروبة حول مكة ، ينسون قومياتهم وأوطانهم ويتذكرون فقط حقيقة واحدة . أخوة فى الله ، تجمعهم عقيدة واحدة وكتاب واحد ، ليس للفوارق الاقليمية مكان بينهم ، وهم يد على من سواهم .

« فمكة هى المحل الذى يشعل العاطفة الدينية ، ويبعث فيهم روح تعاليم كتابهم المقدس ( القرآن الكريم ) وهى مركز الاشعاع الروحي والفكرى ، حوله تحوم أفكارهم ، ثم تنبعث قوة محركة لكل الطاقات فى ارجاء العالم الاسلامى ..

« تحت سماء مكة - المدينة المحرم دخولها على غير المسلم - وحول الكعبة ، التى يقصدها المسلمون كل عام يتأمر ذلك العالم المنطوى على نفسه فى هذا المكان ، المتلف على الوقت ، الذى يستعيد فيه عصره .. يتأمر ذلك العالم ضد أولئك الذين لا يجوز لهم دخول هذه المنطقة ، ويمكن للمرء ان يتخيل ان فى هذه المدينة المغلقة امرا يدبر ، وحيلا سياسية تحاك وقرارات ذات أهمية للعالم البعيد تتخذ ، وان المجتمعين خلف الكواليس لا يتناولون فقط بحث المسائل الدينية فى العالم الاسلامى ، بل يناقشون مشاكلهم السياسية .



« اذا لم تكن هذه هي الحقيقة ، فلم تنبعث من ارجاء مكة ، تيارات سياسية ، لها اثرها العميق في العالم الاسلامي . فلا اقل من ان تلعب هذه المدينة دورا غير مباشر في توجيه الجو السياسي ، اذ الشعائر الدينية ، التي تقام فيها تطبع المسلمين بطابع خاص ، يدور في جوهرة حول التشدد في عداة البلاد الغربية والوقوف في وجه الاستعمار الأوروبي » (١) .



لم تستطع القوى العسكرية الاستعمارية احراز نصر عسكري شامل على المقاومة الاسلامية ، اذ لم تتمكن من القضاء التام عليها ، وظل نشاطها في مناطق العالم الاسلامي مسموعا ومرئيا ، وان فتر احيانا تحت ضغط التفوق العسكري للمستعمر ، فانها كانت دائما شوكة في جنب المستعمر ، لا تدعه يهدأ ، أو يغمض عينيه ، مما جعله يعتقد اعتقادا جازما أن القوة العسكرية ليست هي الوسيلة الوحيدة لاختضاع العالم الاسلامي ، فأبدى اهتماما أكثر بنواحي أخرى تؤدي الى اضعاف المصدر الذي يدفع المسلمين الى مقاومة الاجنبي ، ألا وهو الدين ..

وسلك في الوصول الى هذا الهدف مسالك متعددة :

#### ١ - الدراسات الاستشرافية :

كان الغرض من انشاء الدراسات الاستشرافية ، معرفة طبيعة اخلاق وعادات وتقاليد الشعوب المستعمرة ، ليسهل التعامل معها ، وتطويعها للإدارة الأجنبية ، ثم استخدمت في الشرق الاسلامي كوسيلة لحماية الاستعمار عن طريق تهيئة نفوس المسلمين لقبول

---

(١) راجع كتاب « الاسلام قوة الغد العالمية » الباب الثالث .

« وفي دائرة هذا البحث تنحصر الخلافات الدينية والفلسفية ،  
التي لم يوفق دين من الاديان ، ولا مذهب فلسفى الى حسمها  
بكيفية يقتنع بها الادراك ويرضاها العقل ، مع ان البحث فيها  
لاصابة عذا الغرض السامى ، لم يكن بالامر الحديث ، اذ طالما  
بحث فيها فلاسفة الاقدمين ، فلم يجدوا لها حلا ، وكان حظهم منها  
كحظ فلاسفة المتأخرين وعلمائهم .

« وغاية ما عرف منذ العصر السابقة الى الآن ، انه وجد  
مذهبان تشاطرا فيما بينهما العقائد البشرية من تلك الوجهة  
المهمة .

● فالاول منها يقول بتناهى الربوبية فى العظمة والعلو ، وجعل  
الانسان فى حضيض الضعف ودرك الوهن .

● ويذهب الثانى الى رفع مرتبة الانسان وتخويله حق  
القربى من الذات الالهية ، بما فطر عليه من ايمان وارادة ، وبما  
آتاه من أعمال صالحات وحسنات .

« والنتيجة الطبيعية للاعتقاد بمذهب الفريق الاول ، هى  
تحريض الانسان على اغفال شئون نفسه ، وبث القنوط فى مؤاده ،  
وتثبيط همته وايهان عزيمته .

بينما تسوق نتيجة الاعتقاد بمذهب الفريق الثانى الى ميدان  
الجلاد والعمل ، وتلقى به فى غمرات التنافس الحيوى .

ومن الامثلة على الفريقين :



« وفي دائرة هذا البحث تنحصر الخلافات الدينية والفلسفية ،  
التي لم يوفق دين من الاديان ، ولا مذهب فلسفى الى حسمها  
بكيفية يقتنع بها الادراك ويرضاها العقل ، مع ان البحث فيها  
لاصابة هذا الغرض السامى ، لم يكن بالامر الحديث ، اذ طالما  
بحث فيها فلاسفة الاقدمين ، فلم يجدوا لها حلا ، وكان حظهم منها  
كحظ فلاسفة المتأخرين وعلمائهم . »

« وغاية ما عرف منذ العصر السابقة الى الآن ، انه وجد  
مذهبان تشاطرا فيما بينهما العقائد البشرية من تلك الوجهة  
المهمة . »

● فالاول منها يقول بتناهى الربوبية فى العظمة والعلو ، وجعل  
الانسان فى حضيض الضعف ودرك الوهن .

● ويذهب الثانى الى رفع مرتبة الانسان وتخويله حق  
القربى من الذات الالهية ، بما فطر عليه من ايمان و ارادة ، وبما  
آتاه من أعمال صالحات وحسنات .

« والنتيجة الطبيعية للاعتقاد بمذهب الفريق الاول ، هى  
تحريض الانسان على اغفال شئون نفسه ، وبث القنوط فى مؤاده ،  
وتثبيط همته وايهان عزيمته . »

بينما تسوق نتيجة الاعتقاد بمذهب الفريق الثانى الى ميدان  
الجلاد والعمل ، وتلقى به فى غمرات التنافس الحيوى .

ومن الامثلة على الفريقين :

البوذيون الذين يدينون بدين يقضى عليهم بالتجرد ، اذ من قواعده ان الانسان والكون يفنيان في الذات الالهية .

وقدما اليونان ، الذين يدينون بدين من قواعده تشبيه الاله بالانسان في اوصافه المادية وقضى عليهم هذا الدين بالعمل والحياة لاعتقادهم بان الانسان او « البطل » يمكنه ان يصير في عداد الالهة بحسناته وخبراته .

« وقد ظهرت على اطلال العالم القديم بعد خمسمائة عام من انقضاؤه ديانتان : احدهما ربانية ، والثانية بشرية ، تمثلان دينك المذهبين المتناقضين ، ولكن بتلطيف في التناقض . »

اما الاولى ( الديانة الربانية ) فهي الديانة المسيحية ، المورثة بلا واسطة آثار الآريين (١) والمقطوعة الصلات بالمرّة مع مذهب السامية وان كانت مشتقة منه ، وغصنا من دوحته . . ومن خصائص هذه الديانة ( المسيحية ) ترقية شأن الانسان بتقريبه من الحضرة الالهية .

#### (١) ليست البوذية ديانة الآريين ؟

كيف تكون المسيحية مقطوعة الصلة بالسياسة ، أليس عيسى عليه السلام ساميا ؟ أليس « بولس » وهو المؤسس لدين الكنيسة الموجود الآن كما يقول علماء الاديان ساميا ؟ أليس « بطرس » - وهو رمز الكنيسة الكاثوليكية ورائدها - ساميا ؟ ولو ذهبت أعـدد علماء الكنيسة القديمة وروادها والمؤسسين لها ، لوجدت معظمهم لا ينحدرون من الجنس الآري مما يدل على ان تقسيم المستشرقين على هذا النحو مفتعلا ، ليصل به الى غرضه وهو الطعن على الاسلام حسب تصويره هو ، لا بحسب الواقع .



على حين أن الديانة الثانية ( البشرية ) وعلى الاسلام ، المشوبة بتأثير مذهب السامية ، تنحط بالانسان الى أسفل الدرك ، وترفع الاله عنه في علاء لا نهاية له .

« هذان الميالن المختلفان يظهران ظهورا واضحا في الاعتقاد الاساسى لكلتا الديانتين : وهو أصل الألوهية . أما المسيحي فيذهب في الأصل الى الثالث - أى أن الاله الاب أوجد الاله الابن واتصل الاثنان بصلة هي روح القدس ، وعليه فيكون المسيح الها وبشرا . . هذا الثالث السرى ، المشتقة اصوله من ضرورة اله بشرى ، يمحو ذنب الجنس البشرى ، ويفديه من الخطيئة ، التى اقترفها ، يرفضه المسلم الذى يعتقد بوحداية الرب ، ويتمسك بهذا الاعتقاد تمسكا شديدا حيث يقول : لا اله الا الله .

غير أن ادراك المسيحيين من هذا القبيل هو أخف وأعلى ، وأجلب للثقة ، إذ يحملهم على اتيان الأعمال التى تقربهم الى الله ، حيث الوسائط بينهم وبين ذاته العلية موصولة ، في حين أن المسلمين تجعلهم ديانتهم كمن يهوى فى الفضاء بحسب ناموس لا يتحول ولا يتبدل ، ولا صلة فيه سوى متابعة الصلوات والدعوات ، والاستغاثه بالله الاحد الذى هو مستودع الآمال ! ولفظ الاسلام معناه : « الاستسلام المطلق لارادة الله » .

« ترى الديانتين ، او بعبارة اخرى ، المدينتين : المسيحية والاسلام احدهما بازاء الاخرى ، وتتصل الاثنتان بعضهما ببعض من حيث المنشأ العام لهما ، إذ هما مشتقتان من الأصول اليونانية والسامية ، ومنهما استمدتا جانبا من العقائد والمذاهب والآداب . فهما إذن متداخلتان من وجوه عدة ، ولكن مسافة الخلق بينهما

شاسعة في الحقيقة : من حيث البحث في القدرة الالهية ، والحرية البشرية ، (١)

يبدو التحايل لتشويه الحقائق واضحا في هذا الكلام ، اذ كيف يتصور باحث منصف ان الاسلام لا يدعو الى العمل ، وفي القرآن الكريم آيات كثيرة تحث على العمل لتحسين المستوى المادى . وأخرى لصقل روح الانسان حتى لا يتحول الى حيوان لا هدف له الا شهوات البطن المدمرة للفرد والمجتمع ، اذا أطلق العنان لها دون ضوابط وأحكام .

● ان الباعث على هذا التشويه . ليس الا محاولة زعزعة عقيدة المسلم في المبادئ الاسلامية لتحقيق جزء من المخطط الكبير الرامى الى قطع الصلة بين المسلم واسلامه ، حتى يسهل اخضاعه وتطويعه للادارة الاجنبية .

(ب) وتناولوا أحكامه في مجال المال بأسلوب ينم عن قصدهم ( أى المستشرقين ) وميلهم الى تشويه تعاليم الاسلام للحد من انتشاره بين شعوب الارض ولتوهمين الرباط بين المسلمين وعقيدتهم .

● فهم يدعون في تفسيرهم لبدأ الزكاة ، ان الاسلام يرى أن الاموال المادية من اصل شيطانى نجس ، ولذا فلا يحل للمسلم ان يتمتع بها الا اذا طهرها ، بارجاعها الى الله ، أى باخراج

---

(١) تاريخ الامام : ج ٢ ص ٤٠٧ - ٤٠٩ ، نقلا عن : الفكر الاسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى ، للاستاذ الدكتور : محمد البهى ص ٥٣ - ٥٦ .



الزكاة (١) منها ، ويردد المسيحيون القائمون على الدراسات الإسلامية في الوقت الحاضر هذا المعنى ، ففي العدد رقم ٨٠ للسنة الثامنة والثمانين لصحيفة « The montreal Star »

بتاريخ ٥ ابريل سنة ١٩٥٦ ، تحدث أب دومينيكانى مقيم في مصر - وكان يقوم بالقاء محاضرات عن علم الكلام الاسلامى بجامعة مونتريال - عن النظرة الاسلامية في الحياة فقال :

« ان المسلمين يتجنبون الناس ، الذين يشتغلون بالمال ويعتبرونهم اقرب للكلاب منهم للبشر » (٢) .

هذا التصوير لمبدأ من المبادئ الاسلامية ، الذى سبق نظام الضمان الاجتماعى - الذى تفخر به الامم المتقدمة في العصر الحديث - بأكثر من اثنى عشر قرنا ، ينفر شعوب غرب أوروبا وأمريكا من الاسلام لان المال يحتل المركز الرئيسى في حياتهم المعاصرة ، فهو عصب حضارتهم الحديثة ، فاذا ما دعى الى التخلّى عنه - كما يوحى بذلك كلام هذا الاب الدومينيكانى - لن يستجيب ، وبالتالي سوف يصرف النظر عن الاسلام ويقاوم رغبته ، اذا ما دعت نفسه

---

(١) يبدو أنه أخذ هذا المعنى من قوله تعالى « خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكّيهم بها » وهذا فهم سطحي ، اذ ليس المقصود في الآية تطهير المال لان النفس الجشعة التى تكنز الذهب والفضة ، وتترك اخوانا لها يعانون من ألم الفقر والحرمان دون أن تتحرك فتمد لهم يد المساعدة ، هي نفس مريضة ، خبيثة ، نجسة ، ينبغي ان تعالج ، وعلاجها يكون بغرس روح التعاون والرحمة والشفقة بالبائسين فيها ، كي تعطى هذا الفقير ما يعينه على مواجهة الحاجات الضرورية في الحياة ، ويتمثل ذلك في اعطائه نصاب الزكاة .

(٢) الفكر الاسلامى الحديث ص ٥٧

يوما الى معرفته والبحث عن امكانية اعتناقه ديننا ، او اتخاذ مبادئه اسلوبا في الحياة .

وتحاول الدوائر الاستعمارية ترويح هذا الكلام في المجتمعات الاسلامية كي تبعد المسلمين عن دوائر المال ، لتكون لقمة سائغة لها ومما يؤسف له ، ان هذه الفكرة راجت في المجتمعات الاسلامية في القرن الماضي واولئل هذا القرن ، فاستولى على التجارة يهود وأوروبيون فكانت لهم الكلمة الاولى والاخيرة في الاعمال المصرفية في انعالم الاسلامي وتحكموا في اقتصاد المسلمين .

### (ج) وصوروا تعاليم الاسلام بانها دعوة الى العنصرية :

ف « قوامة الرجل على المرأة » تخلف حضارى ، يعيد الى الازمان صورة استعباد المرأة في القرون الوسطى ، فهو يرفع الرجل الى الذروة ، ويهبط بالمرأة الى هاوية الاذلال والضعفة .

و « عدم قبول المسلم لولاية الاجنبى » هو عدم تعاون مع الشعوب الاخرى .

و « الجهاد » اعتداء ، اعطاه الاسلام صفة شرعية ودينية كي يدفع به المسلم لمهاجمة غير المسلم في وقت أمن فيه على نفسه وعرضه .

و « عدم زواج المسلمة بغير المسلم » فكرة عنصرية قائمة على تمييز الشعوب بعضها على بعض .

و « فكرة العودة الى القرآن » دعوة الى الرجوع الى الحياة



البدائية ، التي كانت للجماعة الاسلامية ، لانها لم تكن في نظرهم - طبقا لمخطط التشويه لتعاليم الاسلام - سوى حياة بدائية . وطبقا لهذا الفهم ينكرون على من ينادى بهذه الفكرة دعوته الى اصلاح ، اذ الاصلاح في نظرهم هو التطور واتباع الاساليب الغربية الحديثة .

## ٢ - المدارس الاجنبية :

● أدرك المستعمر أن تأثير الدراسات الاستشرافية - وان زرع العقيدة عند بعض المسلمين ، المثقفين ثقافة غربية - في المجتمع الاسلامي جزئي ، فهو محصور في المجموعة ، التي تعرف اللغات الاجنبية ، ولذا فقد تناولت الخطة الاستعمارية انشاء مدارس في المجتمعات الاسلامية ، تعلم ابناء المسلمين الثقافة وتلقنهم الفكر الاجنبي ، وتعددهم اعدادا عاليا لتولى مقاليد الامور في بلادهم ، وهم بحكم تشربهم الثقافة الاجنبية في هذه المدارس ، سوف يتبنون منهجه في التعليم والثقافة ، وفي اسلوب الحكم والسياسة ، وبذلك يكونون خير ممثل للاستعمار ينفذون ما عجز هو عن تنفيذه بطريق مباشر .

● أعطيت هذه المدارس من الامكانات ما جعلها تتبوأ المكانة الاولى في قائمة المعاهد العلمية ، فمدرسوها على درجة عالية من الكفاءة ، وتطبق في ادارتها احداث النظم التربوية والادارية ويعتنى بمظهرها عناية ، تلتفت نظر المواطنين اليها ، فمبانيتها على احداث طراز ، وهيئة طلابها تسر الناظرين ، والتزامهم بالسلوك والآداب الاجتماعية يشد انتباه المتعاملين معهم ، وفضلا عن ذلك فقد رسم الاستعمار من الخطة ، ووضع من اللوائح ما يمكن المتخرجين من هذه المدارس من تولي اسمى المناصب ، وارتقاء أعلى الدرجات في

الدولة ، وبهذا استطاع المستعمر ان يسلم مقاليد الحكم والتوجيه لابناء صنعهم بيده ، فغزاهم بثقافته ، ونماهم في رحاب افكاره ، فكانت النتيجة ان تنكر معظمهم للتعاليم الدينية ، ونظر اليها والى الداعين لها نظرة استهزاء واستنكار .

● ماذا فعل المسلمون ازاء هذه الظاهرة ؟

● حاربوا بالخطب الرنانة ، ومقالات في صحف ومجلات لا تصل الى اولياء امور من ارسلوا الى هذه المدارس ، ولو وصلت الى بعضهم ما اثرت فيه لانهم يريدون ان يربوا ابناءهم تربية عالية .

● ماين البديل لهذه المدارس ؟

● لو أنشأ المسلمون مثيلا لها في المستوى الثقافى والتربوى لانصرف معظم الناس عن ارسال ابنائهم الى هذه المدارس الاجنبية ، ولكنهم اكتفوا بالاحتجاج السلبي ، اللهم الا بعض محاولات ضئيلة ، بذلت في هذا المجال ، وأقصد بها ما قامت به الجمعية الخيرية الاسلامية في مصر ، ولكن حتى هذه المحاولات قضى عليها ايضا ، وضمت مدارس الجمعية الخيرية الى الدولة ، فساء حالها وانخفض مستواها وظلت المدارس الاجنبية تحتل المكان الاول في مستوى التربية والثقافة .

● وما زال المسلمون يجأرون بالشكوى ، ويصرخون ، ولا يجدون سوى الخطب ومقالات الوعظ ، التى تحذر من ارسال ابناء المسلمين الى المدارس الاجنبية ، أما العلاج العلمى ، فلا يجد آذانا صاغية ، وأذكر أننى شاركت في مؤتمر اسلامى عقد في احدى الدول



العربية ، وكنت عضواً في لجنة الغزو الفكري ، فاقترحت على اللجنة أن توصي بإنشاء مدارس اسلامية في مستوى المدارس الاجنبية حتى يجد المسلم الذي يريد لابنه هذا النوع من التعليم ، مكاناً في مؤسسة علمية ، غير خاضعة للفكر الاجنبى ، ووافقت اللجنة على هذا الاقتراح ، ولكن لجنة الصياغة العامة في المؤتمر أهملته . . . لماذا ؟ . . . ولاننا لم نبلغ بعد المستوى المطلوب للتخطيط العلمى لمواجهة الفكر الاجنبى ، فنحن لم نتعد بعد مرحلة الخطب الرنانة ، لكسب الشعبية الجماهيرية ، وان كان على حساب فائدة كبرى . . لا تدركها العامة - للاسلام والمسلمين .

\* \* \*

### ٣ - ازدواج التعليم :

● انقتصرت مناهج المؤسسات التعليمية في المجتمعات الاسلامية قبل المواجهة مع قوى الغرب الاستعماري - في عصر النهضة - على النواحي الدينية فقط ، فلم تتناول المشاكل العامة في المجتمع ، الا من زاوية ترديد ما قاله السابقون ، فجمد الفكر الاسلامى . وتوقف عن التجديد والابتكار (١) فلم يستطع تقديم حلول للمسائل التي تظهر كل يوم على سطح الحياة الانسانية . كذلك عجز عن الخلق والابداع في مجال العلوم والتكنولوجيا ، وعندما

(١) حتى في المسائل الدينية البحتة ، لم يقدّم بواجهه كما ينبغي ، بل قصر في ناحية وأهمّل في أخرى ، وقد عبر الشيخ محمد عبده عن قصور التعليم الدينى آنذاك اصدق تعبير فقال :  
« اذا استقرينا احوال المسلمين ، للبحث عن اسباب الخذلان لا نجد الا سبباً واحداً : وهو القصور في التعليم الدينى ، اما =

بدأت أعراض الضعف - نتيجة هذا الجمود - في مرحلة المواجهة  
ظهرت عدة محاولات للدفاع عن الشرق الاسلامي ضد الغزو الفكري  
الغربي ، كان بعضها دعوات سياسية ارتكزت على القومية الوطنية

= باعماله جملة كما هو في بعض البلاد ، واما بالسلوك اليه من غير  
طرقه القويمة كما في البعض الآخر .

« أما الذين عمل فيهم التعليم الديني : فجمهور العامة في كل  
ناحية ، لم يبق عندهم من الدين الا اسماء يذكرونها ولا يعتبرونها ،  
فان كانت لهم عقائد ، فهي بقايا من عقائد الجبرية والمرجئة ، من  
نحو : انه لا اختيار للعبد فيما يفعله ، وانما هو مجبور فيما يصدر  
عنه جبرا محضا - فلهذا لا يؤاخذ على ترك الفرائض ، ولا على  
اجترار السيئات ، ومثل : ان رحمة الله لا تدع ذنبا حتى تشملها  
بالغفران قطعا ، لا احتمال معه للعقاب فليفعل الانسان ما يفعل من  
الموبقات ، وليهمل ما يهمل من المفروضات فلا عقاب عليه ، وما  
شاكل ذلك مما أدى الى هدم أركان الدين من نفوسهم واستل  
الحمية من قلوبهم .. ولا منشأ له الا عدم تعلمهم عقائد دينهم  
وغفلتهم عما اودع كتاب الله وسنة رسوله .

واما الذين اصابوا شيئا من العلم الديني : فممنهم من كان  
همهم على أحكام الطهارة والنجاسة ، وفرائض الصلاة والصوم ،  
وظنوا ان الدين منحصر في ذلك ، ومتى أدوا هاتين العبادتين على  
ما نص في كتب الفقه فقد اقاموا الدين ، وان هدموا كل ركن سواهما  
.. ويشتركون مع الاولين في تلك العقائد الفاسدة .

« ومنهم من زاد على ذلك علم الفروع في ابواب المعاملات ،  
متخذاً ذلك آلة للكسب ، وصنعة من الصنائع العادية ، وأولئك ..



والأخرى تربوية ، اتخذت المنهج الحديث في التربية أساسا للنهوض بمستوى الأمة كي تقوى على صد الأجنبى عن ديارها وعقيدتها وثوراتها .

أما القائمون على المعاهد العلمية الدينية ، فقد التزموا موقفا سلبيا في مواجهة التيارات الفكرية الأجنبية ، فقد رفضوا ادخال أى نوع من العلوم الحديثة في مناهجهم ، بحجة أن ذلك لا يتفق مع « الاسلام » !! حرّموا تدريس الجغرافيا والطبيعة والكيمياء ، والرياضة وغير ذلك من العلوم التى تقوم عليها أسس النهضة

= الاغلب من طلاب الافتاء والقضاء ، ووظائف التدريس وما شاكل ذلك .. لا ينظرون الى الدين الا من وجهة ما يجلب اليهم المعيشة .. فان مال بهم طلب العيش الى مخالفته لم يبالوا بذلك ، معتقدين على مثل عقائد الجهلة مما قدمنا .

وهؤلاء لا تختص مفاسد اعمالهم بخواتمها ، ولكنها تتعدى الى اخلاق العامة وأطوارهم . فهذا القسم أعظم الاقسام خطرا ، وأشدّها ضررا في العامة والخاصة .. وما افراده بقليل .

( تاريخ الامام ج ٢ ص ٥٠٩ - ٥١٠ عن الفكر الاسلامى الحديث  
للاستاذ الدكتور محمد البهى ص ١٤١ - ١٤٢ ) .

هيا هذا الوضع في مجالى التعليم الدينى المناخ لظهور التعليم المدنى ، كما ساعد المستعمر على تمكن خريجي المدارس المدنية ، من السيطرة على مقاليد السلطة وأزمة التوجيه الفكرى . وقدم له فرصة ذهبية - انتهزها واستغلها بذكاء نادر - لتشويه صورة رجل الدين عند الجماهير .

الحديثة وهى التى تمثل احد عنصرى القوة فى مواجهة الغزو الاجنبى (١) ففتح عن هذا ان فقدوا كثيرا من الاصوات المسلمة فى صفوف التيارين الآخرين - وعما التيار السياسى القائم على اساس القومية ، والتيار التربوى الذى اتخذ الاسلوب التربوى الحديث اساسا للنهوض بالامة .

فحين اشتدت معارضة رجال الدين للاستعمار فى اصلاح التعليم ، فرفضوا ادخال النظم الحديثة فى معادهم ، وجد المستعمرون انصارا لهم - فى صفوف القوميين والمصلحين التربويين - فى دعوتهم الى انشاء مدارس حديثة على غرار المدارس الأوروبية واطلقوا عليها التعليم المدنى فى مقابل التعليم الدينى ، وبهذا وجد نظامين للتعليم فى المجتمع الاسلامى ، مدارس دينية واخرى مدنية ، جامعات تقوم على النظام الأوروبى (٢) واخرى لا يدرس فيها سوى العلوم الدينية . ولم يقتصر الامر عند هذا الحد ، بل استأثر خريجو الجامعات المدنية بكل الوظائف الحساسة فى الدولة وحصلوا على كل الامتيازات ، بينما حرم الآخرون من كل شئ

(١) فعليها تقوم القوة المادية فى المواجهة ، اما العنصر الآخر وهو القوة الروحية ، فالاسلام كفيل بغرسه فى نفوس المسلمين ، لو قامت التربية الاسلامية فى المجتمع على تخطيط سليم .

(٢) لازال هذا النظام المزدوج قائما فى المجتمعات الاسلامية على الرغم من رحيل القوات الاستعمارية عنها ، ومن الغريب انه موجود فى اقطار اسلامية - قلدت اقطار اسلامية اخرى ، واضطرت الى هذا التقليد نتيجة لجمود القائمين فيها على شئون المؤسسات التعليمية الاسلامية - لم تقع يوما ما تحت تأثير مباشر لنفوذ استعمارى ، أى أن القوات الاجنبية لم تطأ أرضها فى عصر الاحتلال العسكرى .



• فلم يعينوا الا لتدريس مادتي الدين واللغة العربية • وبقروش  
لا تسمن ولا تغنى من جوع •

دعم الاستعمار - وساعده في ذلك مسلمون ، تربوا في مدارسه  
- التعليم المدنى ، وحارب التعليم الدينى فانكمش ، وعجز عن  
رسالته كما ينبغي وبقي معزولا عن مواجهة التيارات الفكرية  
الحديثة •

ويرجع عدم قيامه بهذا الواجب أيضا الى :

جمود القائمين عليه ، وعدم فهمهم للايديولوجيات العالمية ،  
التي تموج بها المجتمعات الحديثة •

والى خضوعهم للحكام - وهم متعددو الالهواء في تأييدهم هذا  
او ذلك من المذاهب العالمية المختلفة - فلم يبينوا رأى الاسلام واضحا  
في المذاهب الاقتصادية المعاصرة كالاشتراكية والرأسمالية ، بل  
أخضعوا أحكام الاسلام لهوى الحاكم ، فان كان اشتراكيا فالاسلام  
يدعو الى الاشتراكية ، وان كان معاديا للاشتراكية ، تجاوبت  
الاصدا في أرجاء المعاهد العلمية تغنى على الوتر •

والى عجزه - أى نظام التعليم الدينى - عن ابداء الرأى في  
حل المشاكل الاجتماعية - التي تعانيها الشعوب الاسلامية - من  
وجهة النظر الاسلامية وظل يدور في دراساته حول مباحكات لفظية ،  
وشقشقات لغوية جافة ، فخلت الساحة للتفكير الأوروبى - او  
الاسلامى المتأورب - فبسط نفوذه على عقلية الطبقة المثقفة ثقافة  
« مدنية » ، وهى الطبقة التى تتولى السلطة ، وبهذا ضمن  
الاستعمار تنفيذ النظم الأوروبية في مجتمع مسلم بواسطة حكام

مسلمين ومن هذه الطبقة أيضا خرج أصحاب الدعوات الهدامة ، لان ثقافتهم الغربية - وولاءهم للغرب - أضعفت صلتهم بالاسلام ، وقطعت الوشائج ، التي تصلهم بعقيدتهم .

#### ٤ - خلفاء الاستعمار :

أيقن المستعمر ان قواته سترحل يوما ما عن منطقة العالم الاسلامي . لان اخضاع المسلمين بقوة السلاح مطلب بعيد عن الواقع ، فالمجتمع الاسلامي يرفض السيطرة المباشرة رفضا باتا ، ولذا فقد تضمنت خطط المستعمر خلق طبقة من المسلمين تتبنى آراءه ، وتدافع عنها ، وتتولى تنفيذ ما عجز هو عن تنفيذه . وقد تضافرت عدة جهات على تكوين عقلية هذه الطبقة وتغذيتها بالآراء والافكار التي نادى بها في المجتمع الاسلامي :

فقد أسهم المستشرقون في غرس بعض المفاهيم الخاصة حول مبادئ العقيدة الاسلامية في اذهانهم ، فافهموهم عدم امكانية تطبيق بعض النظم الاسلامية في السياسة والاقتصاد والاجتماع ومجالات العلوم المختلفة في الحياة المعاصرة ، حيث التقدم في التكنولوجيا ، والتعقيدات في أنظمة الحكم والعلاقات الدولية ، والانشطة الاقتصادية المعتدلة ، وأثر ذلك كله في الحياة الاجتماعية بما يتناسب مع متطلبات العصر والبيئة الحضارية .

وعلمتهم المدارس الاجنبية - التي انشئت في العالم الاسلامي - نظريات في التاريخ والعلوم الاجتماعية ، تدور كلها حول مفاهيم تدفع الطالب الى اعتناق مبدأ :

« ان العصر لم يعد صالحا لتطبيق تعاليم الاسلام في مجالى



الحكم والتوجيه ، فلم يبق له سوى العبادات الفردية المتعلقة بالله سبحانه وتعالى ، أى أن مجاله **المسجد فقط** .

وأغرتهم المناصب الكبرى فى الدولة على تبنى افكار تتلاءم مع اتجاهات المستعمر ، اذ هو يملك الكلمة الاخيرة فى اختيار من يتولون المناصب الكبرى والحساسة فى الدولة ، ولم يفقد هذه الكلمة بزحيل قواته عن العالم الاسلامى ، بل لازال محتفظا بها عن طريق تكوين الجمعيات - والسيطرة عليها - ذات الطابع العالمى - مثل الروتارى والماسونية - فى العالم الاسلامى ، وجمعيات التقريب بين الاديان والمذاهب ، وهى مؤسسات تضم الشخصيات صاحبة النفوذ فى الدولة .

ويمكن للمرء أن يتبين مدى هذا النفوذ ، عندما يلاحظ ان المتحمسين للإسلام يحال بينهم وبين الوصول الى هذه المناصب ، وان حدث أن وصل احدهم اليها فانما يرجع هذا الى اعتبارات أخرى ، فرضته على من يبذلون انهم اصحاب الكلمة فى الدولة ، ثم لا تتركه هذه القوى المعادية للإسلام يتحرك بحرية فى مجال ترسيخ المعانى الاسلامية فى مجال عمله ، بل تحاصره ، وتضع امامه العقبات التى تشل حركته وتظل تلاحقه حتى يقصى - أو ينسحب هو يائسا - عن المنصب تاركا الساحة لارباب الاستعمار وخلفائه أو لمن يسير فى فلكهم طمعا فى غنم مادى أو أدبى .

وأجبرهم الوضع الدولى للعالم الاسلامى على السير فى غلك احدى القوتين العالميتين ، ذلك ان البلاد الاسلامية تعاني من تخلف فى التكنولوجيا ، وضعف فى أنظمة الحكم ، وتفكك فى الترابط بينها، أضعف قواها فى مواجهة النفوذ الخارجى فخضعت له ، وسواء سُمى هذا الخضوع صداقة ، أو تحالف أو تبادل اقتصادى ، فان ما يؤدى ( ٥ - أثر البيئة )

اليه ، هو أن تحصر حركة الدول الاسلامية داخل هذا المعسكر أو ذاك ، مما يجعل كثيرا من هؤلاء الذين يتبنون افكار هؤلاء وأولئك يتبارون في تبرير اتجاهاتهم السياسية ، وقل أن تجد في العالم مؤسسات سياسية تلتزم خطا اسلاميا بعيدا عن تأثير القوى الأجنبية ، سواء كان مباشرا أو غير مباشر ، لان نفوذ تلك القوى تغفل في صفوف جميع المؤسسات في العالم الاسلامي حتى الدينية ، اذ دخل في كثير منها ليوجهها - من وراء ستار - الى طريق ، فيه اضعاف العقيدة وتفكيك الوحدة الاسلامية وقد وضح هذا الدور في القاديانية ، فقد كان ميرزا غلام أحمد - مؤسس هذه الطائفة - خاضعا للانجليز خضوعا كليا ! وقام بدور في المجال الديني يخدم مصالحهم ، دور لم يستطيعوا القيام به ، اذ لم يكن في استطاعتهم تبني دعوة تحريم الجهاد في وقت كان المسلمون في أشد الحاجة اليه لدفع غارة الاستعمار عن بلادهم ، ولم يكن وضعهم يسمح بتبني عقيدة مزج المسيحية بالاسلام ، كما دعا الى ذلك ميرزا غلام احمد ، ولهذا كانوا عوناً له وسندا ، ولم لا ! فهو يمهّد لهم طريقا عجزوا عن سلوكه ، وسيكون خليفتهم في العالم الاسلامي ان هم رحلوا عنه ، خليفتهم في توعين العقيدة الاسلامية عند المسلمين ، وتمزيق وحدة المسلمين كي تظل كلمة الاستعمار هي المسموعة في الساحة الدولية .

وعكذا يبدو جليا أثر الصراع الديني في ظهور القاديانية في العالم الاسلامي .



## الباب الثالث

### الرجعة

شاعت عقيدة الرجعة بين الطوائف الدينية ، فقد اعتقد الكلدانيون برجعة هابيل ، الذي قتلته أخوه قابيل ، وآمنت بعض الطوائف اليهودية بالرجعة واستدلوا على ذلك بأمرين :

#### أحدهما :

حديث عزيز ، اذ أماته الله مائة عام ثم بعثه .

#### ثانيهما :

حديث هارون عليه السلام ، اذ مات في التيه ، وقد نسيوا قتله الى موسى وادعوا انه حسده ، لان اليهود كانت اليه أميل منها الى موسى . واختلفوا

فمنهم من قال :

مات وسيرجع .

ومنهم من قال :

غاب وسيرجع (١)

---

(١) البهي : الجانب الالهي ج ١ ص ٨٨ - ٨٩

كذلك سيطرت فكرة عودة المسيح ثانية الى الارض على عقول الكتاب ، الذين أسهموا في كتابة أسفار العهد الجديد ، لدرجة انهم حددوا موعدها ، فقد جاء في هذه الاناجيل :

« ان المسيح دعا تلاميذه الاثنى عشر واعطاهم سلطانا على ارواح نجسة حتى يخرجوها ويشفوا كل مرض .. وأوصاهم قائلا : ها انا ارسلكم كفعم وسط نئاب ، فكونوا حكماء كالحبات . وبسطاء كالحمام .. ومتى طردوكم في هذه المدينة فاهربوا الى الاخرى » .

فانى الحق اقول لكم لا تكملون مدن اسرائيل حتى ياتى ابن الانسان » - المسيح - (١)

أى أن عودة المسيح ثانية الى الارض تحدث قبل أن يكمل تلاميذه التبشير في مدن اسرائيل (٢) كذلك انتشرت عقيدة الرجعة بين جمهور المسلمين ، اذ آمنت بها معظم الفرق الشيعية .

● فمن الكيسانية :

● المختارية : اصحاب المختار بن ابي عبيد الثقفى ، كان خارجيا ، ثم صار زبيريا ، ثم صار شيعيا وكيسانيا . قال بامامة محمد ابن الحنفية . بعد أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنهما .. وكان السيد الحميرى - وهو من شيعة محمد بن الحنفية

(١) متى ١٠ : ١ - ٢٣

(٢) أحمد عبد الوهاب : المسيح في مصادر العقيدة المسيحية

ص ١٠٢



- يعتقد فيه - أى فى ابن الحنفية - انه لم يميت ، وانه فى جبل رضوى بين أسد ونمر يحفظانه ، وعنده عينان نضاختان تجريان بماء وعسل وانه يعود بعد الغيبة فيملا الأرض عدلا كما ملئت جورا . وهذا هو أول حكم بالغيبة والعودة بعد الغيبة ، حكم به الشيعة وجرى ذلك فى بعض الجماعة حتى اعتقدوه ديننا وركنا من أركان التشيع (١) .

ومنهم من اعتقد أن عبد الله بن عمرو بن حرب الكندى - الذى اعتقد البعض أن أبا هاشم بن محمد الحنفية أوصى بإمامته - حيا لم يميت وسيرجع (٢) .

#### ● ومن الزيدية :

● الجارودية : قالوا بسوق الإمامة من على إلى محمد بن عبد الله ابن الحسن بن الحسين ، وقد قتل فى المدينة على عهد المنصور . ومن قال منهم بإمامته ، أى بإمامة محمد بن عبد الله اختلفوا :

فمنهم من قال : انه لم يميت ، وهو بعد حى ، وسيخرج فيملا الأرض عدلا .

ومنهم من أقر بموته ، وساق الإمامة إلى محمد بن القاسم ابن على بن الحسين (٣)

(١) الشهرستاني : ج ١ ص ١٥٠ (٢) المصدر السابق ص ١٥٢

(٣) المصدر السابق ص ١٥٧ - ١٥٩

### ● ومن الامامية :

● الباقرية : أتباع محمد بن الباقر بن علي بن زين العابدين ،  
وابنه جعفر الصادق . قالوا باعامتها وامامة والدعما زين  
العابدين . الا ان منهم من توقف على واحد منهما وما ساق الامامة  
الى اولادهما . ومنهم من ساق . وانما ميزنا هذه الفرقة دون  
الاصناف المتشعبة التي نذكرها ، لان من الشيعة من توقف على  
الباقر ، وقال برجعته (١) .

● الناورسية : أتباع رجل يقال له : ناووس ، وقيل : نسبوا  
الى قرية ناوسا . قالت : ان الصادق حي بعد ، ولن يموت حتى  
يظهر فيظهر أمره . وهو القائم المهدي (٢) .

● الاسماعيلية الواقفة : قالوا : ان الامام بعد جعفر اسماعيل ،  
نص عليه باتفاق من اولاده ، الا انهم اختلفوا في موته في حال حياة  
ابيه ، فمنهم من قال : لم يموت ، الا انه اظهر موته تقية من خلفاء  
بني العباس . ومنهم من قال موته صحيح ، والنص لا يرجع  
للقهقري ، والفائدة في النص بقاء الامامة في اولاده المنصوص عليه  
دون غيرهم ، فالامام بعد اسماعيل : محمد بن اسماعيل . ثم  
منهم من وقف على محمد بن اسماعيل وقال برجعته بعد  
غيبته . (٣) .

● الموسوية : فرقة واحدة قالت بامامة موسى بن جعفر نصا

(١) المصدر السابق ص ١٦٥

(٢) أحمد بن حنبل ص ١٦٦

(٣) المصدر السابق ص ١٦٧ - ١٦٨



عليه بالاسم ثم ان موسى لما خرج واظهر الامامة ، حمله هارون الرشيد من المدينة فحبسه عند عيسى بن جعفر ، ثم أشخصه إلى بغداد فحبسه عند السندی بن شامك . . . وقيل : ان يحيى بن خالد بن برمك سمه في رطب فقتله وهو في الحبس . . . واختلفت الشيعة بعده .

سَمِيَتْ بِهَا رُبَّ عَمَّةٍ

فمنهم من توقف في موته وقال : لا فخر في أمات أيام لم يموت .

ومنهم من قطع بموته . . . رُبَّ رَأْسٍ بِأَنْفِيسٍ شَاعَ . . . فَصَبَتْ رَقَبَتُهَا

(١) . . . أَرَبَ سَنَةً لَمْ تَمُتْ

ومنهم من توقف عليه ، وقال : انه لم يموت وسيخرج بعد

الغيبه (١) رُبَّ رَأْسٍ بِأَنْفِيسٍ شَاعَ رُبَّ عَمَّةٍ بِأَصْحَابِهَا : فَيَمُوتُ

رُبَّ رَأْسٍ بِأَنْفِيسٍ شَاعَ رُبَّ عَمَّةٍ : رُبَّ رَأْسٍ بِأَنْفِيسٍ شَاعَ رُبَّ عَمَّةٍ بِأَصْحَابِهَا

.. (٢) (١) (٢) (٣) (٤) (٥) (٦) (٧) (٨) (٩) (١٠) (١١) (١٢) (١٣) (١٤) (١٥) (١٦) (١٧) (١٨) (١٩) (٢٠) (٢١) (٢٢) (٢٣) (٢٤) (٢٥) (٢٦) (٢٧) (٢٨) (٢٩) (٣٠) (٣١) (٣٢) (٣٣) (٣٤) (٣٥) (٣٦) (٣٧) (٣٨) (٣٩) (٤٠) (٤١) (٤٢) (٤٣) (٤٤) (٤٥) (٤٦) (٤٧) (٤٨) (٤٩) (٥٠) (٥١) (٥٢) (٥٣) (٥٤) (٥٥) (٥٦) (٥٧) (٥٨) (٥٩) (٦٠) (٦١) (٦٢) (٦٣) (٦٤) (٦٥) (٦٦) (٦٧) (٦٨) (٦٩) (٧٠) (٧١) (٧٢) (٧٣) (٧٤) (٧٥) (٧٦) (٧٧) (٧٨) (٧٩) (٨٠) (٨١) (٨٢) (٨٣) (٨٤) (٨٥) (٨٦) (٨٧) (٨٨) (٨٩) (٩٠) (٩١) (٩٢) (٩٣) (٩٤) (٩٥) (٩٦) (٩٧) (٩٨) (٩٩) (١٠٠)

الكاظم حتى محمد بن الحسن العسكري ، وهو الامام الثاني عشر

المختفى ، وحدث اختلاف كبير بين أتباعه عقب اختفائه حول وجوده

ابتداءً وحول اختفائه ، فذهب فريق إلى انه وجد فقال : هو من الحسن

كان له ابن وليس الامر على ما ذكروا انه مات ولم يعقب بل ولد

له ولد قبل وفاة أبيه بمسنتين ، فاستقر خوفًا من جعفر وغيره من

الأعداء . وأسموه محمد وهو الامام له القائم الحجة والمختار (٢)

.. رُبَّ رَأْسٍ بِأَنْفِيسٍ شَاعَ رُبَّ عَمَّةٍ : رُبَّ رَأْسٍ بِأَنْفِيسٍ شَاعَ رُبَّ عَمَّةٍ بِأَصْحَابِهَا

ومن الغالية . . . رُبَّ رَأْسٍ بِأَنْفِيسٍ شَاعَ رُبَّ عَمَّةٍ : رُبَّ رَأْسٍ بِأَنْفِيسٍ شَاعَ رُبَّ عَمَّةٍ بِأَصْحَابِهَا

(٦) (٧) (٨) (٩) (١٠) (١١) (١٢) (١٣) (١٤) (١٥) (١٦) (١٧) (١٨) (١٩) (٢٠) (٢١) (٢٢) (٢٣) (٢٤) (٢٥) (٢٦) (٢٧) (٢٨) (٢٩) (٣٠) (٣١) (٣٢) (٣٣) (٣٤) (٣٥) (٣٦) (٣٧) (٣٨) (٣٩) (٤٠) (٤١) (٤٢) (٤٣) (٤٤) (٤٥) (٤٦) (٤٧) (٤٨) (٤٩) (٥٠) (٥١) (٥٢) (٥٣) (٥٤) (٥٥) (٥٦) (٥٧) (٥٨) (٥٩) (٦٠) (٦١) (٦٢) (٦٣) (٦٤) (٦٥) (٦٦) (٦٧) (٦٨) (٦٩) (٧٠) (٧١) (٧٢) (٧٣) (٧٤) (٧٥) (٧٦) (٧٧) (٧٨) (٧٩) (٨٠) (٨١) (٨٢) (٨٣) (٨٤) (٨٥) (٨٦) (٨٧) (٨٨) (٨٩) (٩٠) (٩١) (٩٢) (٩٣) (٩٤) (٩٥) (٩٦) (٩٧) (٩٨) (٩٩) (١٠٠)

السبائية : أصحاب عبد الله بن سبأ ، الذي قال لعلي كرم

الله وجهه : أنت أفيتني يغنيك أنت (إله) ، فقتله إلى المذائن .

(١) المصدر السابق ص ١٦٨ - ١٦٩ رُبَّ رَأْسٍ بِأَنْفِيسٍ شَاعَ رُبَّ عَمَّةٍ (١)

(٢) المصدر السابق ص ١٧١ - ١٧٢ رُبَّ رَأْسٍ بِأَنْفِيسٍ شَاعَ رُبَّ عَمَّةٍ (٢)

زعموا انه كان يهوديا فاسلم وكان في اليهودية يقول في يوشع بن  
نون وصي موسى عليهما السلام مثل ما قال في علي رضي الله عنه ،  
وهو أول من اظهر القول بالقص باعامة علي رضي الله عنه ، ومنه  
اشتغبت اصناف الغلاة .

زعم أن عليا حتى لم يميت ، ففيه الجزء الالهي ، ولا يجوز أن  
يستولي ما عليه وهو الذي لا يجيئ في السحاب ، والرعد صوته ،  
والبرق تبسمه ، وأنه سينزل الى الارض بعد ذلك فيملا الارض  
عدلا كما ملئت جورا ٠٠ (١)

● المغيرة : اصحاب المغيرة بن سعيد الهجلى (١) ادعى بأن  
الامامة بعد محمد بن علي بن الحسين : محمد النفس الزكية بن  
عبد الله بن الحخم الخارج ٠٠ بالدينة ، وزعم انه حتى لم يميت ٠٠  
ولما أن قتل المغيرة اختلف اصحابه ، رسلوا ربهم رتبة هلالا  
ومعه راية خالفتا بقدر دليلا ربهم رتبة هلالا شعاع ، رقتا  
رسلهم من قال بانتظاره ورجعته ٠٠ خالفتا رايه واعتبا  
عنه رايه ببقية ما عتله فاما ايمته له رايه رسلوا ربنا ما نزل  
منهم من قال بانتظار امامة محمد ، كما كان يقولهم  
بانتظاره . ثم قال المغيرة بامامة ابني جعفر محمد بن علي رضي  
الله عنهما ٠ ثم غلا فيه وقال بالوميته فتبرأ منه الباقر ولعنه ٠  
وقد قال المغيرة لاصحابه : انتظروه ، فانه يرجع ، وبجيريل وميكائيل  
يبايعانه بين الركن والمقام (٢) .

● رايه رايه رايه ، ليس رايه رايه رايه : قباليسا  
نفا كما أمل بظهور المهدي وينتظر خروجه حتى الآن جمهور

(١) احمد بن حنبل مص ١٧٤ رايه رايه رايه

(٢) المصدر السابق ص ١٧٦ - ١٧٨ رايه رايه رايه



أهل السنة استنادا الى احاديث وردت في كتب السنة منها :

عن علي رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« المهدي منا آل البيت يصلحه الله في ليله » (١) .

وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : خشينا ان يكون بعد نبينا حدث فسالنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :

« يخرج المهدي في أمتي خمسا ، أو سبعا ، أو تسعا ٠٠ قال : قلت : أى شيء ؟ قال : سنين ٠ ثم قال : يرسل السماء عليهم مدرارا ، ولا تدخر الارض من نباتها شيئا ، ويكون المال كدوسا . قال : يجيئ الرجل اليه فيقول : يا مهدي ، اعطني اعطني ! قال فيحشى له في ثوبه ما استطاع ان يحمل » (٢)

وعنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« أبشركم بالمهدي ، يبعث في أمتي على اختلاف من الناس وزلازل ، فيملأ الارض قسطا وعدلا ، كما ملئت جورا وظلما ، ويرضى عنه ساكن السماء وساكن الارض ويملأ الله قلوب أمة محمد غنى ، فلا يحتاج أحد الى أحد ، فينادى مناد ، من له في المال حاجة : قال : فيقول رجل : أنا ، فيقال له انت السادن - يعنى الخازن - فيقول له : قال لك المهدي اعطني ! قال : فيأتى السادن ، فيقول له . فيقال له : احتبى ، فيحتبى ، فاذا احزنه قال : كنت أجشع أمة محمد

عاشا بعد - لهذا كتب في نسخة رئيسها رقمه

(١) المصدر السابق ج ١ ص ٦٨٤ رقم ٦ في هذا

(٢) المصدر السابق ج ٣ ص ٢١ - ٢٢ والقرمذي ج ٣ ص ٣٤٣





تدل هذه النصوص على أن عقيدة ظهور المهدي انتشرت بين كل المذاهب الإسلامية ، السني منها والشيعة ، غير أن عناصر تكوينها مختلفة ، فقد ظهرت أولا عند الشيعة كعقيدة رجعة • إذ اعتقدت بعض الطوائف الشيعية برجعة على رضى الله عنه ، ثم تحولت إلى اعتقاد في ظهور الامام المختفى - أو رجعته - الذى سيملا الارض عدلا بعد أن ملئت جورا •

أما عند أهل السنة فظهرت بأدى ذى بدء اعتقادا في ظهور رجل من أهل البيت ، يقيم العدل فى الارض ، ويمحو الظلم •

ولا شك أن بين العقيدتين اختلافا ، فالشيعة تؤمن برجعة امام مات أو اختفى أما أهل السنة فيؤمنون بظهور رجل ، وجوده عادى ، اذ يولد من أب وأم ، وقد تكون حياته عادية ، الى ان يظهر بالدعوة فيؤيده الله لتتحقق مشيئته فى القضاء على الظلم وإقامة العدل بين الناس لكنهما يشتركان فى الدافع النفسى لهذه العقيدة ، فالظلم واقع على كليهما :

فقد تعرض الشيعة لاضطهاد الامويين ، ثم العباسيين ، الذين لم يرحموا أئمتهم ، ولم يتركوا المشايخين لم يستقروا فى مكان ، بل تعقبوهم ، واعملوا السيف فى رقابهم ، وزجوا من نجا منهم من السيف فى غيايب السجون ، فضاقت الحياة بال البيت واتباعهم فتبحرت آمالهم فى الهواء ، فيئسوا من قدرتهم على الاستيلاء على السلطة ، وبلغ اليأس بهم درجة الاستسلام لاحلام اليقظة ، فهيأت لهم نفوسهم اليائسة من الخروج من الواقع الاليم - صورا وردية ، صور انقاذهم مما هم فيه وتمثل ذلك فى ظهور شخص ، له من القوة ما يفوق قوى الدولة ، التى أنهكتهم ، ولن يكون ذلك الا اذا كان مؤيدا ، من الله ، الذى أمر رسوله ذلك بقوة اهلكت أهل الشر جميعا ، ذلك الشخص : هو المهدي •

أمدتهم هذه الصورة بالامل - والانسان اذا كان في محنة ،  
تعلق بالآمال حتى ولو كانت أحلام اليقظة مصدرها - فتعلقوا  
به وآمنوا بأنه سيحقق ، فصار ظهور المهدي عقيدة لهم ، يتصيدون  
الأدلة على صحتها من هنا وهناك .

أما أهل السنة ، فقد تعرضوا أيضا لظلم ولاية الأمويين وعسفهم  
وجورهم فتمنوا الخلاص منهم ، فلما طالبت فترة حكمهم ، ظهرت  
أفانيهم في الاعتقاد في ظهور من يخلصهم من هذا الظلم ، ولهذا نجد  
أحاديث المهدي تركز على ناحيتين ، هما الأفتان الرئيسيتان اللتان  
تعانى منهما المجتمعات الانسانية ، اولهما : الظلم والفقر اذ  
بوعودون في هذه الاحاديث :

• بأن المهدي سيملا الارض عدلا بعد ان ملئت جورا .

• وبأن المال سيفيض عن الحاجة ، فلا يحتاج احد الى احد .

وأحاديث المهدي كلها آحاد ، ومما يزيد في ضعف حجبتها ان  
البخاري ومسلم - وهما اكثر جامعي الاحاديث حرصا في التحقيق  
والتدقيق - لم يأتيا بحديث واحد عن المهدي في صحيحيهما مما  
يجعلنا نحكم بأن ظهور المهدي ليس من المسائل المجمع عليها ، اذ  
لم يرد ذكره في القرآن والاحاديث التي وردت فيه آحادا . .  
ومتعارضة (١) فمفكره ليس كافرا .

(١) « . . وأما التعارض في أحاديث المهدي ، فهو أقسوى  
وأظهر ، والنجم بين الروايات فيه أعسر ، والمنكزون لها اكثر ،  
والشبه فيها أظهر ، ولذلك لم يعتد الشيخان بشيء من رواياتها في  
صحيحيهما » تفسير المنار ج ٩ ص ٤٥٩



كما أن عقيدة الرجعة ليست من المسائل المجمع عليها عند الشيعة ، فقد انكرها محمد الباقر حين سئل :  
هل دنكم أهل البيت من يعتقد بالرجعة ؟

قال : لا (١) .

كذلك انكرها زيد بن علي بن زين العابدين ( الذي نسبت اليه طائفة الزيدية ) وان أقر ظهور المهدي بالمعنى المفهوم عند أهل السنة . اذ كان يعتقد ان المهدي : هو الخارج على الظالم ، المجدد الفقهي ، وهو الذي يخرج مجاهدا في سبيل الله ليملا الأرض عدلا (٢) .

\*\*\*

● أما رجعة عيسى عليه السلام فيؤمن بها جمهور أهل السنة استنادا الى :

اولا : قول الله تعالى :

« وان من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته » (٣) .

فارجعوا الضمير في « به » و « موته » الى عيسى . والمعنى ما من أحد من أهل الكتاب : يهوديهم ونصرانيهم الا ليؤمنن بعيسى قبل أن يموت عيسى .

(١) النشر ص ١٣٨ (٢) المصدر السابق ص ١٦٥

(٣) النساء : ١٥٩

قالوا أخبرت هذه الآية أن أهل الكتاب سيؤمنون بعيسى قبل أن يموت ، وهم لم يؤمنوا به إلى الآن . على الوجه الذى طلب منهم . فلا بد أن يكون عيسى إلى الآن حيا ، ولا بد أن يتحقق هذا الايمان به قبل موته وذلك انما يكون عند نزوله آخر الزمان ، .

وقوله تعالى :

« وانه لعلم للساعة فلا تمترن بها » (١) .

فقد فسروا هذه الآية بأن نزول عيسى عليه السلام فى آخر الزمان من علامات الساعة .

وثانيا : ما ورد فى السنة :

فقد روى عن ابى هريرة رضى الله عنه انه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« والذى نفسى بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما مقسطا فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ، ويضع الجزية ، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد » (٢) .

وروى برواية أخرى فى كتاب الانبياء :

« والذى نفسى بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا ، فيكسر الصليب ، ويقتل الخنزير ، ويضع الحرب ، ويفيض

(١) سلتوت : ص ٧١ ، والآية من سورة الزخرف : ٦١

(٢) فتح البارى ج ٤ ص ١١٤



المال حتى لا يقبله أحد حتى تكون السجدة الواحدة خيرا من الدنيا وما فيها » • ثم يقول أبو هريرة : واقرأوا ان شئتم : « وان من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته ، ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا » (١) •

● غير أن هذا الرأي في تفسير الآيتين ليس مجمعا عليه ، فقد ورد في تفسير الآية رأى آخر ، رواه ابن جرير من طريق عكرمة عن ابن عباس :

« لا يموت يهودى ولا نصرانى حتى يؤمن بعبسى • فقال عكرمة أرأيت أن خر من بيت ، أو احترق ، أو أكله السبع ؟ قال : لا يموت حتى يحرك شفتيه بالايمان بعبسى •

قال النوى :

معنى الآية على هذا : ليس من أهل الكتاب أحد يحضر الموت ، الا آمن عند المعاينة قبل خروج روحه بعبسى ، وأنه عبدالله ، وابن أمته ، ولكن لا ينفعه هذا الايمان في تلك الحالة ، كما قال تعالى : « وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر أحدهم الموت ، قال : انى تببت الآن » (٢) ، قال : وهذا المذهب اظهر لان الاول يخص الكتابى ، الذى يدرك نزول عيسى ، وظاهر القرآن عمومه في كل كتابى في زمن نزول عيسى وقبله (٣) •

اما الرأى الآخر الذى ورد في تفسير الآية الثانية فهو :

(١) المصدر السابق ج ٦ ص ٤٩٠ - ٤٩١

(٢) النساء : ١٨ (٣) فتح البارى ج ٦ ص ٤٩٢ - ٤٩٣

ان عيسى علم للساعة ، أى ان حدوثه من غير أب دليل على  
امكان الساعة .

أو ان باحيائه الموتى دليل على امكان البعث والنشور .

ومن هذا يتبين ان احتمال الآيتين لمعنى آخر ، غير نزول عيسى ،  
دليل على انها ليستا نصين قاطعين في نزوله عليه السلام .

اما الاحاديث التى اخبرت بنزول عيسى عليه السلام ، فقد  
قالوا فيها : انها آحاد ، ونزول عيسى من الامور العقدية ، التى  
لا تثبت الا بالقرآن أو بالحديث المتواتر فاذا انفتق الاول لوجود  
رأين فيما ورد فيه من آيات حول هذا الموضوع ، ولم يتحقق الثانى  
لان احاديث نزول عيسى ليست متواترة ، فقد اختلفت قطعية دلالة  
هذه الاحاديث على نزوله ، وقد فسر الشيخ شلتوت القول في هذا  
حيث يقول :

« وموجز ما نقول فيها : انها لا تخرج عن كونها احاديث  
آحاد ، واحاديث الآحاد مهما صحت لا تفيد يقينا يثبت عقيدة  
يكفر منكرها . »

وانه ليؤسفنى ان ارى قوما تظاهروا بالانتساب الى الدين ،  
والغيرة على احاديث الرسول استباحوا لانفسهم - في سبيل  
اغراضهم الدنيا - ان يصطنعوا كل اساليب التلبيس والتمرية في  
شان احاديث عيسى ، التى لا يمكن ان يكون منها متواترا حتى  
على أوسع الآراء في تحققه ، وهى مع احاديثها يكثر ويشدد في معظمها  
ضعف الرواة واضطراب المتن ، ونكارة المعانى ، فتراهم يقولون :  
هى متواترة قد رواها فلان وفلان من الصحابة والتابعين ، وذكرت



في كتاب كذا وكتاب كذا من كتب المتقدمين ، فاذا رأوا في بعضها ضعفا أو اضطرابا ، أو نكارة ، حاولوا التخلص من ذلك ، فقالوا : ان الضعيف منها منجبر بالقوى ، وان العدالة لا تشترط في رواية المتواتر . وهكذا يخلعون عليها ثوبا مهلهلا من القداسة ، لا رغبة في علم ، ولا غيرة على حق ، ولكن مكابرة وعنادا ، وإصرارا على التضييل ، وليقال على السنة العامة ، وأشباه العامة : انهم حفاظ وانهم محدثون ، (١) .

أما الاجماع الذي استدل به جمهور علماء المسلمين على نزول عيسى عليه السلام فلم يسلم من النقد ، اذ قيل فيه ان الاجماع في الامور الغيبية لا يتحقق ، لان المجمعين لا يعلمون ما اجمعوا عليه ، الا من حيث هو منقول عن يطلعه الله على الغيب ، فهو راجع الى المنقول ، يقول الشيخ شلتوت :

« ان الذين ذهبوا الى حجية الاجماع لم يتفقوا على شيء يحتاج به سوى الاحكام الشرعية العملية ، اما الحسيات المستقبلية من اشراط الساعة وامور الآخرة فقد قالوا : ان الاجماع عليها لا يعتبر من حيث هو اجماع ، لأن المجمعين لا يعلمون الغيب ، بل يعتبر من حيث هو منقول عن يطلعه الله على الغيب ، فهو راجع الى الاختبارات فيأخذ حكمها وليس من الاجماع المخصوص بأمة محمد صلى الله عليه وسلم ، لأن الحسى المستقبل لا مدخل للاجتهد فيه ، فان ورد به نص فهو ثابت به ، ولا احتياج الى الاجماع وان لم يرد به نص فلا مساغ للاجتهد فيه » .

وعلى هذا تخضع جميع الاخبار - التي تتحدث عن اشراط

(١) شلتوت : ص ٧٧ - ٧٨

( ٦ - أثر البيئة )

الصناعة ، ومن بينها نزول عيسى - الى مبدا قطعية النصوص  
وظنيتهما في الورد والدلالة (١) .  
ثم يبين أن هذه المسألة مختلف فيها قديما وحديثا :  
أما قديما فقد نص على ذلك ابن جزم في كتابه ، مراتب الإجماع  
... حيث يقول :

« واتفقوا على أنه لا نبي مع محمد صلى الله عليه وسلم ،  
ولا بعده أبدا ، إلا أنهم اختلفوا في عيسى عليه السلام : أياتى قبل  
يوم القيامة أم لا ؟ وهو عيسى ابن مريم المبعوث الى بنى إسرائيل  
قبل مبعث محمد عليه السلام » ، كما نص عليه أيضا القاضي عياض  
في شرح مسلم ، والسعد في شرح المقاصد .

وأما حديثا : فقد قرر ذلك كل من الاساتذة المغفور لهم :  
الشيخ محمد عبده والسيد رشيد رضا والاستاذ الأكبر الشيخ  
المراغى .  
فالشيخ محمد عبده يقول في تفسيره آية آل عمران :  
« إِذ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنِي مَرْيَمُ ارْفَعِي هَذَا » (٢)  
... ان للعلماء هنا طريقتين :

أحدهما وهي المشهورة : أنه رفع بجسمه حيا ، وأنه سينزل  
في آخر الزمان فيحكم بين الناس بشريعتنا ، ثم يتوفاه الله .

(١) المصدر السابق ص ٧٩ - ٨٠ . (٢) آل عمران : ٥٥



والطريقة الثانية : ان الآية على ظاهرها ، وان التوفى على معناه الظاهر المتبادر منه ، وهو الامامة العادية ، وأن الرفع يكون بعده ، وهو رفع الروح . الخ .

ثم يذكر :

« ان لاهل هذه الطريقة في احاديث الرفع والنزول تخريجين :

أحدهما : انها آحاد تتعلق بأمر اعتقادي ، والامور الاعتقادية لا يؤخذ فيها الا بالقطعي وليس في الباب حديث متواتر .

وثانيهما : تأويل نزوله وحكمه في الارض بغلبة روحه ، وسر رسالته على الناس ، وهو ما غلب في تعليمه من الامر بالرحمة والمحبة والسلم ، والاخذ بمقاصد الشريعة ، دون التوقف عند ظواهرها ، والتمسك بقشورها دون لبابها (١) .

ولما تلقى السيد رشيد رضا سؤال حول هذا الموضوع (٢) ، اجاب السائل بعرض للآيات وآراء المفسرين فيها ثم قال : « وجملته القول انه ليس في القرآن نص صريح في ان عيسى رفع بروحه وجسده الى السماء حيا حياة دنيوية بها ، بحيث يحتاج بحسب سنن

(١) تفسير المنار ج ٣ ص ٣١٦ - ٣١٧

(٢) « ونص السؤال : ما حال سيدنا عيسى الآن ؟ واين جسمه من روحه ؟ وما قولكم في الآية « انى متوفيك ورافعك الى » وان كان حيا يرزق كما كان في الدنيا فمم يأتية الغذاء الذى يحتاج اليه كل جسم حيوانى كما هي سنة الله في خلقه ؟

الله تعالى الى غذاء ، فيتوجه سؤال السائل عن غذائه ، وليس فيه نص صريح بأنه ينزل من السماء ، وانما هي عقيدة أكثر النصرى ، وقد حاولوا في كل زمان منذ ظهور الاسلام بثها في المسلمين (١) .

اما المغفور له الاستاذ الاكبر الشيخ المراغى ، فقد اجاب عن سؤال اجابة جاء فيها : « ليس في القرآن الكريم نص صريح قاطع على أن عيسى عليه السلام رفع بجسمه وروحه ، وعلى انه حتى الآن بجسمه وروحه » . وقول الله سبحانه : « اذ قال الله يا عيسى انى متوفيك ورافعك الى ومظهرك من الذين كفروا » (٢) الظاهر منه انه توفاه واماته ، ثم رفعه ، والظاهر من الرفع بعد الوفاة انه رفع درجات عند الله ، كما قال فى ادريس عليه السلام : « ورفعناه مكانا عليا » (٣) . وغذا الظاهر ذهب اليه بعض علماء المسلمين فهو عند هؤلاء ، توفاه الله وفاة عادية ، ثم رفع درجات عنده فهو حتى حياة روحية كحياة الشهداء ، وخياة غيره من الانبياء . لكن جمهور العلماء على انه رفعه بجسمه وروحه فهو حتى الآن بجسمه وروحه ، وفسروا الآية بهذا بناء على احاديث وردت كان لها عندهم المقام الذى يسوغ تفسير القرآن بها ، ثم قال « ولكن هذه الاحاديث لم تبلغ درجة الاحاديث المتواترة التى توجب على المسلم عقيدة ، والعقيدة لا تجب الا بنص من القرآن ، او بحديث متواتر » . ثم قال : وعلى ذلك فلا يجب على المسلم ان يعتقد ان عيسى عليه السلام حتى بجسمه وبروحه ، والذى يخالف فى ذلك لا يعد كافرا فى نظر الشريعة الاسلامية » .

(١) شلتوت ٨١ عن الجزء العاشر من المجلد الثامن والعشرين للمفاتيح .

(٢) آل عمران : ٥٥ . (٣) مريم : ٥٧ .



ثم يعقب الشيخ شلتوت على ذلك فيقول : «

هذه نصوص صحيحة يقرر بها هؤلاء العلماء قديما وحديثا أن مسألة عيسى مسألة خلافية وإن الآيات المتصلة بها ظاهرة في موته عليه السلام موتا عاديا ، وإن الأحاديث الواردة فيها أحاديث آحاد لا تثبت عقيدة ، وهي مع هذا تحتمل التأويل وأنه لا يكفر المسلم بانكار رفع المسيح أو نزوله » (١) .

لم يستطع الرأي المعارض لعودة المسيح عليه السلام أن يشق طريقا له بين جمهور المسلمين ، فظل محصورا بين أشخاص معدودة من العلماء الذين اعتنقوه ، أما جمهورهم ومن ورائهم جميع المسلمين - فقد آمنوا بعودته ، مستدلين بما ورد في القرآن الكريم من آيات تحدثت عن نجاته من اليهود ، ورفعه الى السماء ، وأحاديث أخبرت بأنه سينزل في آخر الزمان ، فيكسر الصليب ، ويقتل الخنزير ... و ... الخ .

ولم يرجع شبه الاجماع على عودة المسيح الى ما استدل به المؤيدون من آيات وأحاديث فقط - لأنها لا تدل بالنص القاطع على ذلك كما سبق بيانه - بل الى استعداد النفس البشرية لاعتناق هذا الرأي ، ذلك أن الانسان يعتقد في عودة من اختفى عن الحياة العادية في حالتين :

الاولى : حبه الشديد له .

فالاعتقاد في رجعة انسان معين ... تنم عن تقدير المعتقد لهذا الانسان المعين وعن حبه له . بل عن شدة الوله به . وعن هذا

الحب الشديد والرغبة المتزايدة في الحرص على بقاءه ولقائه ومحاادثته ينشأ شك الحب في قتل من يحبه أو موته ، لو سمع بأنه قتل أو مات (١) . فإذا اصطدم بالحقيقة الواقعة ، وهى انه لم يعد يراه يقظة ولم يعد يتحدث اليه مشافهة بعد فوات وقت طويل على ذلك ، لم يصدق بموته ، او بقتله مع ذلك ويؤمن بغيبته فحسب . ثم بناء على ذلك بأوبته ورجعته يوما ما ، طالت فترة الغيبة أم قصرت . لان الحب القوى يخلق أملا قويا ، قد يتعارض مع واقع الامر والنفوس موزعة بين الامل القوى والواقع الذى لا مراء فيه ، لا تتركز الى طرف منهما وهذه حال الشك .

لكن عيشة النفس في الامل أهنا وارغد ، لان متعتها فيه اطول ، ولانه ملجؤها عند فرارها من الواقع . ولهذا ترجح البقاء فيه عند النزول الى عالم الحقيقة وهذا هو حال ترجيح أحد طرفى الشك . وهو هنا ترجيح غيبة المحبوب دون الاعتقاد بقتله أو موته الذى يمثلها الواقع . ثم يصبح هذا الترجيح عقيدة بالغيبة .

فإذا اطمأنت النفس عندئذ الى غيبة المحبوب ، تحول هذا الاطمئنان الى أمل قوى فى عودته ، لانها شديدة الحرص قبل على رؤيته يقظة ومشافهة فى الحديث . ثم يتحول هذا الامل بعد مرور فترة أو فترات عليه الى عقيدة برجعته .

فإذا ما أصبحت الرجعة عقيدة للنفس ، تخيلت وقتها فحدته ، وفى أول الأمر تقتصر الفترة التى تتوقع بعدها الآية ، لأن الامل القوى

---

(١) وعمر رضى الله عنه فيما يروى عنه عند وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم من انه قال : « من قال أن محمدا قد مات قتلته بسيفى هذا » . لم يقل غير ما تمليه الطبيعة الانسانية .



يؤرخى بذلك ، فاذا اشرفت الفترة المحددة على النهاية ، أو انتهت بالفعل ، ومع ذلك لم يعد المحبوب الذى اعتقد بعودته ، أول اصحابه في الوقت ، وشرحوه بغير المألوف والمتعارف ، حتى يستطيعوا التوفيق بين الحقيقة والعقيدة فالיום في نظرهم ليس كأيامهم العادية والسنة ليست كذلك السنين التى تمر بالانسان العادى .

وبهذا نرى البرجة والاعتقاد بها مرحلة أخيرة في طريق تبنيته النفس بالحب وتتوسطه بالامل . ومن هنا كانت عقيدة البرجة تعتبر من الظواهر النفسية العامة التى لا تختص بها جماعة إنسانية . دون جماعة أخرى ، وظهورها في الجماعة يتوقف فقط على محبين ولهمين لشخصية عزيزة فيها (١) .

وينطبق هذا على الذين آمنوا برجة الامام الغائب من الشيعة وعلى من آمن من النصارى بالبرجة الثانية ليعسى عليه السلام ، كما جاء في العهد القديم الموجود الآن بين أيدي النصارى .

الثانية : الامل في نصر ساحق على الاعداء .

يشيع هذا الامل بين كل افراد المجتمعات الإنسانية ، ولكن لا يترتب عليه ظهور عقيدة البرجة في المجتمع ، الا اذا كان الصراع قائما على اساس ديني ، فالمطالبون بحقهم المستند - في رأيهم - على نصوص شرعية ، يعتقدون انهم مؤيدون من السماء وان النصر حليفهم ، فهم قادرون على سحق الاعداء ، وسيسيطرون على مقاليد الامور في الدولة . فاذا ما انتكست جبهتهم ، قضاع سلطانهم وتبددت قواهم ، وأصبحوا عاجزين عن مواجهة القوة الاخرى ،

(١) الجانب الالهى : ج ١ ص ٩٢ - ٩٤

دفعهم الامل في النصر الى الاعتقاد في ظهور امام له من القوة ما تفوق هذه القوة المادية ، وعندها سيكون النصر حليفهم . فيسحقون أعداءهم .

مرت الشيعة بهذه المرحلة ، اذ اضطهدهم الامويين ، ثم العباسيون ، فقتلوا أئمتهم ، وشردوا أتباعهم . ولما ضاقت بهم الارض ، عاشوا في أمل تخيلوه ، ثم آمنوا بوقوعه ، فوضعوا الاحاديث التي تنبئ بما يجول في نفس مضطهدة . اذ جاء في احاديثهم ان الامام سيظهرهم على من عاداهم فآمنوا برجعته ليخلصهم من هذا الاضطهاد ، كما شاعت أيضا عقيدة ظهور المهدي بين أهل السنة ، لانهم ربطوا خلاصهم من الاستبداد والظلم بظهوره ، ولهذا نرى أن احاديث المهدي تتحدث عن انه سيملا الارض عدلا ، كما ملئت جورا وظلما .



اجتاحت العالم الاسلامي في منتصف القرن التاسع عشر الميلادي حالة من اليأس في النصر على المستعمر الأوروبي ، اذ بلغت سيطرته على البلاد الاسلامية ذروتها في ذلك التاريخ ، فتوجه المسلمون الى مصدر القوة التي لا تقهر ، الى الله سبحانه وتعالى ، ولما كانت رسالة محمد صلى الله عليه وسلم هي خاتم الرسالات السماوية ، - فلن يبعث رسول برسالة أخرى - ترقب المسلمون ظهور المهدي المؤيد من الله كي يخلصهم من هذا الكابوس الاستعماري ، كما توقعوا قرب نزول المسيح عليه السلام ، ليحكم بالقرآن الكريم ، ويكسر الصليب ، ويقتل الخنزير . . . و . . الخ . فاستقبل الانجليز هذا الوضع النفسي للمسلمين فدفعوا بعميل لهم - هو ميرزا غلام احمد - الى ساحة الدعوة الدينية ، ليحد من تيار الدعوة الى الجهاد ضد المستعمر - لانه فسر على نحو يبطل فرضيته - فادعى انه هو المسيح الذي أخبر بنزوله ، وينتظره



المسلمون ليخلصهم من الاستبداد ، وليمكن لدين الله في الارض .  
ومما قاله ميرزا في هذا الصدد :

« أيها الناس : اذا كنتم اصحاب ايمان ودين فاحمدوا الله  
واسجدوا لله شكرا ان العصر الذي قضى آباؤكم حياتهم في انتظاره  
ولم يدركوه ، وتشوقت اليه ارواح ولم تسعد به قد حل وادركتموه  
واليكم وحكم ان تقدروا هذه النعمة ، وتنتهزوا هذه الفرصة ،  
ساكر ذلك ، ولا افئا اذكره اننى ذلك الرجل الذى ارسل لاصلاح  
الحق ليقم هذا الدين في القلوب من جديد .. ان لى شيئا بفطرة  
المسيح لديك العقيدة الصليبية ، فقد ارسلت لكسر الصليب وقتل  
الخنازير .. » (١)

كان غرض الانجليز من دفعه الى الجهر بهذه الدعوة أن يؤمن  
الناس به ويلتفوا حوله ، فيكون زمام الامر بأيديهم - أى الانجليز -  
لأنهم سوف يملون على زعيم المسلمين الروحي - لو آمن الناس  
بصدق ادعائه بأنه المسيح - ما يريدون .. وبذلك تتحقق سيطرتهم  
على المسلمين ، اذ بعد ما فشلت محاولة الاستعمار في ابعاد المسلمين  
عن الاسلام ، سلك اسلوب تبني الحركات الاسلامية المنحرفة -  
بل هو الذى دفع بعض الاشخاص الى انشائها - ليوجهها نحو  
الهدف الذى يريده وكانت القاديانية ، هى احدى هذه الحركات ،  
تبناها الانجليز ، وأوعزوا الى مؤسسها ليدعو الى مزج الاسلام  
بالمسيحية ، كى تضعف مقاومة المسلمين للمستعمر المسيحى ،  
فوجد ميرزا فى عقيدة رجعة عيسى عليه السلام خطوة اولى على هذا  
الطريق ، ثم حاول مزج الاسلام بالمسيحية فى تعاليمه ، ودفعه الى  
ذلك أيضا ، ما شاعده فى الدين الهندوسى من مزج للآراء المختلفة

المصادر، فسار على هذا الدرب مقلداً، وللانجليز معاوناً.

لو لم توجد عقيدة رجعة عيسى عليه السلام عند المسلمين  
ما ادعى ميرزا غلام احمد انه المسيح ، ولو لم ينشأ قريبا من  
المجتمع الهندوسى ما حاول مزج الاسلام بالمسيحية ، ولو لم يوجد  
الاستعمار الانجليزى فى الهند ، ما نحا ميرزا غلام أحمد فى دعوته  
نحو هذا الاتجاه لتأويل النصوص الاسلامية تأويلا متعسفا ارضاء  
للاستعمار .



## أهم المراجع

- فتح الباري بشرح صحيح البخاري  
أحمد بن علي بن حجر العسقلاني  
تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي - محب الدين الخطيب -  
المطبعة السلفية
- صحيح مسلم  
للامام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري  
تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي - الحلبي عام ١٣٧٤هـ / ١٩٥٥م
- سنن ابن ماجه  
للحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني  
تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي - الحلبي عام ١٣٧٢هـ / ١٩٥٢م
- سنن الترمذي  
للامام الحافظ ابن عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي  
تحقيق : عبد الوهاب عبد اللطيف المدني - عام ١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م
- مسند ابن حنبل  
للامام أحمد بن حنبل  
بيروت - دار صادر عام ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م
- تفسير المنار  
للشيخ رشيد رضا  
القاهرة ١٣٧٩هـ / ١٩٦٠م
- تفسير الراغب  
للشيخ أحمد مصطفى الراغب  
القاهرة ١٣٧٣هـ / ١٩٥٣م

- نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام  
على سامي النشار - القاهرة ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨ م
- الجانب الالهي من التفكير الاسلامي  
للدكتور محمد البهي  
القاهرة ١٣٦٨هـ / ١٩٤٨ م
- الفتاوى  
للشيخ محمود شلتوت  
القاهرة طبعة دار القلم - بدون تاريخ
- المسيح في مصادر العقائد المسيحية  
أحمد عبد الوهاب - القاهرة ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨ م
- الاسلام قوة الغد العالمية « باول شمتر »  
ترجمة : الدكتور محمد شامة :  
القاهرة ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤ م
- الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي  
للدكتور محمد البهي  
بيروت : ١٩٧٠ م
- القادياني والقاديانية  
أبو الحسن علي الحسن الندوي  
الدار السعودية للنشر جدة ١٣٩١هـ / ١٩٧١ م
- ما هي القاديانية  
أبو الأعلى المودودي  
دار القلم - الكويت - بدون تاريخ



## محتويات الكتاب

الصفحة	الموضوع
٢٧	مقدمة
٢٧	الباب الأول : طبيعة الدين الهندوسي
٢٢ - ٧	( ٢٢ - ٧ )
٢٢	الباب الثاني : الصراع الديني
٢٣ - ٦٦	( ٢٣ - ٦٦ )

٢٤	أولا - أصالة الدين الاسلامي في النفوس
٣١	ثانيا - الوضع الاستراتيجي للعالم الاسلامي
٣١	( أ ) التحكم في حركة المواصلات العالمية
٣٤	( ب ) القوى البشرية والمادية الهائلة
٤٢	ثالثا - رفض المسلمين السيطرة الاجنبية
٤٩	١ - الدراسات الاستشراقية
٥٧	٢ - المدارس الأجنبية
٥٩	٣ - ازدواج التعليم
٦٤	٤ - خلفاء الاستعمار

## الباب الثالث : الرجعة

( ٩٠ - ٦٧ )

٦٨	انكيسانية - المختارية
٦٩	الزيدية - الجارودية
٧٠	الامامية - النواوسية - الاسماعيلية الواقفة - الموسوية

## الموضوع

صفحة

٧١

الاثنا عشرية - الغالية

٧٢

المغربية

٧٣

جمهور أهل السنة

٨٨

ظهور القاديانية

٩١

أهم المراجع

٩٣

محتويات الكتاب

( ٢٢ - ٧٢ )

٢٢

رسالة عبد الوهاب - القاهرة ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م

٧٢

رسالة عبد الله بن عبد الوهاب - القاهرة ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م

١٧

رسالة الدكتور عبد الله بن عبد الوهاب - القاهرة ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م

١٧

رسالة الدكتور عبد الله بن عبد الوهاب - القاهرة ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م

٧٢

رسالة الدكتور عبد الله بن عبد الوهاب - القاهرة ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م

٧٣

رسالة الدكتور عبد الله بن عبد الوهاب - القاهرة ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م

٧٥

رسالة الدكتور عبد الله بن عبد الوهاب - القاهرة ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م

٧٥

رسالة الدكتور عبد الله بن عبد الوهاب - القاهرة ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م

٧٥

رسالة الدكتور عبد الله بن عبد الوهاب - القاهرة ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م

٧٥

رسالة الدكتور عبد الله بن عبد الوهاب - القاهرة ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م

٧٥

رسالة الدكتور عبد الله بن عبد الوهاب - القاهرة ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م

٧٥

رسالة الدكتور عبد الله بن عبد الوهاب - القاهرة ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م

٧٥

رسالة الدكتور عبد الله بن عبد الوهاب - القاهرة ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م

٧٥

رسالة الدكتور عبد الله بن عبد الوهاب - القاهرة ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م

٧٥

رسالة الدكتور عبد الله بن عبد الوهاب - القاهرة ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م

٧٥

رسالة الدكتور عبد الله بن عبد الوهاب - القاهرة ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م

٧٥

رسالة الدكتور عبد الله بن عبد الوهاب - القاهرة ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م



رقم الايداع ١٩٨٠/١٥٦٠

الترقيم الدولي ٩٧٧

مطبعة  
دار اسامه للطبع والنشر  
عقبة ستان - دمشق - سورية

## للمؤلف

- ١ - الإسلام قوة الغد العالمية
- ٢ - الخطر الشيوعي في بلاد الإسلام
- ٣ - أثر البيئة في ظهور القاديانية
- ٤ - الإسلام في الفكر الأوربي
- ٥ - حقائق عن نظام الحكم الشيوعي